لشيخ الإسلام محمّد ب

شرح الأستا

أناهير بنت عي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس

الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنّة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

فهرس الجزء الثاني

كتاب الكبائر

لشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهاب

اللّقاء السّادس	4
«تابع باب ذكر الكِبْر»	10
علاج كبيرة الكِبْر	24
«باب العُجْب»	29
اللّقاء السّابع	35
اللّقاء الثّامن	67
علاج كبيرة العُجْب	82
«باب ذكر الرّياء والسّمعة»	86
اللّقاء التّاسع	96
اللّقاء العاشر	124
علاج كبيرتيّ الرّياء والسّمعة	139

اللّقاء السّادس

9 صفر 1440هـ

باب الكِبْر-العُجْب

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مُباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يطهّر قلوبنا من الأمراض الّتي تتوالى عليها، نسأله -سبحانه وتعالى- بمنّه وكرمه أن يملأ قلوبنا إيمانًا؛ فيدفع هذا الإيمان الأمراض، ونزداد بهذا الإيمان ثباتًا ويقينًا، اللّهم آمين.

كنّا في الكلام حول أمراض القلوب في **"كتاب الكبائر"**، واتّفقنا: أنّ الكبائر فيها أنواع:

1) كبائر تظهر في القلب.

2) وكبائر تكون على اللّسان.

3) وكبائر تكون من الجوارح.

وبدأ الشّيخ -رحمه الله- بالكبائر الّتي تكون من القلب؛ لأنّ كبائر القلب هي الأساس الّتي تجرّ بقيّة الكبائر؛ وطهارة القلب من الأمراض سبب لاستقامة الجوارح؛ فلذا بدأ بالكلام عن الكبائر القلبيّة؛ يعني: الكبائر القلبيّة أساس للكبائر البدنيّة

والعكس بالعكس؛ لو طَهُرَ القلب من الكبائر ومن الأمراض ماذا سيحصل للجوارح؟ تستقيم الجوارح؛ فأصبحت الكبائر القلبيّة هي أخطر شيء على الخلق!

مراجعة كبيرة الكِبْر وبيان كيف تتصرّف مع العُتُلّ الجَوَّاظ المُسْتَكْبِر؟

بدأ بكبيرة **الكِبْر**؛ وكبيرة الكِبْر يُبدأ بها عادةً لأنّها هي الّتي أوقعت إبليس فيما وقع فيه**!** فأوّل الشّرّ الّذي عرفته البشريّة من آدم وبنيه كان مصدره من جهة الكِبْر؛ وهذا في قصّة آدم لـمّا تكبّر إبليس وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[1]؛ **إذًا: قاعدة الكِبْر هذه الجملة:** ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾؛ وعلى ذلك يظهر لنا الفرق بين **الكِبْر**، و**العُجب**، الّذي سيأتي ذكره اليوم.

المرّة الماضية انتهينا من الكلام عن الأحاديث الّتي أشارت إلى **الكِبْر**.

بدأنا بقول النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[2].

---

[1]() الأعراف: ١٢.
[2]() أخرجه مسلم (91).

وأتانا أيضًا: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»[3]، ووصلنا إلى العتلّ وشرحناه؛ قلنا: ما معنى العتلّ؟ هو الغليظ الجافي. واتّفقنا على أنّ:

 الغليظ الجافي، جفاؤه ظهر على لسانه، بمعنى: أنّ الكِبْر سبّب له عدم العناية والرّعاية بكلامه الّذي يتواصل به مع الخلق؛ لو كان الإنسان متواضعًا لكان حريصًا على أن يرعى من حوله، لكن كلّما زاد **الكِبْر**، كلّما أصبح سهلًا على الإنسان أن يُظهر عيوب غيره، أن يتعدّى على غيره، أن يُؤذي غيره!

فالأذيّة الّتي بالكلام، أصلها في هذا المفهوم: **الكِبْر**؛ لأنّه يكون حسّاسًا جدًّا تجاه نفسه، ولا يستطيع أن يتحمّل الأذيّة الّتي تأتي بالكلام! **في مقابل**: أنّه يسيرٌ عليه جدًّا أن يُكلّم النّاس بكلام جارح -بتعبيرنا- مؤلم، لماذا؟ لأنّه من **الكِبْر** أنّه ما يشعر بأنّ هذا أخوه المسلم! وأنّه هو الذّي من المفترض أن يراعي مشاعره.

ومن أجل أن تتصوّري هذا الغليظ الجافي: تصوّري عمليّة بيع وشراء، شخص يريد الشّراء من شخص:

فالآن المشتري كلّ تفكيره أنّه يصل إلى مصلحته! لا يُراعي أنّ شراءه يكون في نيّة نفع المسلمين. لا توجد هذه

---

[3]() أخرجه البخاري (4918).

المراعاة في نفسه! فحين يجد بأنّ البائع ما تعاون معه -وهذا من حقّه- ما تعاون معه، وما خفّض له السّعر، فيقول له: (أنتم أصلًا تسرقون النّاس! أصلًا أنتم كذا وكذا...!) من الكلمات! هذا يفكّر في نفسه، ولا يفكّر في نفع المسلمين!

الآن انتهينا من أنّه لا يفكّر في نفع المسلمين، تحوّلنا إلى أنّه يتّهم المسلمين، يقول لهم كلامًا غليظًا جافيًا.

أنا أسألكم الآن: هذه بضاعة ألف، وباء هو المشتري، ألف ما تعاون مع باء؛ فماذا سيكون موقف باء؟ (إذًا: هذا ليس رزقي! وسأجده في مكان آخر). لماذا تعتدي عليه قبل أن تخرج؟! ما الّذي في قلبك؟! ماذا يكون في قلب الإنسان؟ ما همّه إلّا نفسه! والآخرين عنده ليس لهم قيمة! فهو في موقف المترفّع على غيره، فقط يفكّر في نفسه.

وأنتِ تجدين غالبًا أنّه حين نشتري ونبيع؛ فإنّنا لا نفكّر في مصلحة المسلمين؛ وإنّما نفكّر في مصلحتنا نحن! لماذا؟ لأنّنا أصلًا نذهب ولدينا مشاعر بأنّ: (هؤلاء الباعة كلّهم سُرّاق، مُستغلّون، وأنا طيّب)! هي بالضّبط: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[4].

المطلوب: أنّك حين تذهبين تشترين مثلًا من أحد شيئًا؛ ركّزي على مسألة الشّراء.

---

[4]() الأعراف: ١٢.

وقد جرت العادة في الاجتماعات النّسائيّة بأن يكون فيها تبادل للذّوق، يعني: أتكلّم جيّدًا من أجل أن يكون عندي ذَوْق، ولا أحد يتّهمنِي، فحتّى لو كان في نفسي **كِبْر**، فإنّي أحاول أن أقول كلامًا طيّبًا من أجل صورتي! لكن في البيع والشّراء؛ المسألة متجرّدة، وهذه الصّورة ليست ظاهرة فيها؛ فصورتي ليست مهمّة عند البائع؛ المهمّ مصلحتي!

فنحن عندنا مشكلة أساسيّة في كون أنّه ليس من نيّاتنا في الشّراء نفع المسلمين! مع أنّ الشّراء من المسلمين، وإرادة نفعهم، والتّساهل في التّعامل معهم، إن كنت أنت ذَا يد؛ فإنّها من الصّدقات الخفيّة الّتي تتصدّق فيها بيمينك ما لا يعلمه شمالك، إذَا نويت في قلبك أن تنفع المسلمين وتوسّع عليهم.

تصوّري كيف أنّه شيء يوضع على اليمين، وفي الميزان يكون ثّقيلًا، إن أنت قصدت بهذا البيع نفع المسلمين، وتثقيل موازينك، بالتّوسيع عليهم بدون أن يظهر أنّها صدقة.

انظري هذا وانظري للطّرف الثّاني: الّذي في أقصى المسألة، حين تشعرين بنفسك أنّك أحسن منهم! وأنّك خير منهم! وأنّهم هم الّذين يحتاجونك، وأنّه غير مهمّ أن يقع عليهم الضّرر أو لا يقع! طبعًا أنت ستقولين لي: (وهل هناك مَنْ مثل هؤلاء؟!) فهذا الموضوع طويل، والمفاهيم فيه متداخلة؛ فأنت فقط فكّري في نفسك: أنت ماذا ينبغي أن تفعلي؟

فهذا الغليظ الجافي متى يظهر جفاؤه؟ يظهر جفاؤه حين لا تكون له مصلحة في لين الكلام؛ لو كان هذا رئيسه، وهؤلاء زملاءه، وكانوا في مجلس عامّ وسينكشف بأنّه غليظ جافٍ؛ فإنّه سيكون غاية في الأدب والذّوق حين يكون محسوبًا عليه الكلام! لكن حين يكون في موقف **الكِبر**، هو أعلى من الّذي أمامه، وما همّه الّذي أمامه؛ فهو أصلًا يرى نفسه هو خير منه؛ فماذا يفعل؟ يظهر هذا!

فأنت دائمًا احسبيها في موقف يكون فيه الّذي أمامك أضعف منك؛ لكي تعرفي مَن أنت. أضعف منك، سيكون مَن؟ الخادم، الأبناء، وبهذه الطّريقة، جارة مسكينة قليلة الكلام، قليلة الحيلة. وكلّما جاءك ضيوف واجتمعتم، وأنت ترينها ضعيفة، ولا تقدر أن تدافع عن نفسها؛ فتعطيها من الكلام السّيّئ! ودائمًا تشعرِين بأنّك خيرٌ منها!

أنت وأختك الآن: مثلًا نفترض بأنّها قليلة ذات اليد، أو أنّ الله ما أعطاها نصيبًا في الفهم، تربّيتما في بيت واحد، لكن أنت حصلتِ على درجات علميّة وهي ما حصلت، أنت عندك فرص أكثر وهي ما عندها فرص، إلى آخره. ماذا ترين؟

□ أنا خيرٌ منها.

□ كيف يكون كلامك معها؟ جافٍ ومختصر، وليس فيه لينٌ**!** إلى آخره.

المهمّ: نريد أن نصل إلى أنّ الشّيخ لـمّا أورد هذا الحديث:

«أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»، نفهم أنّ: «عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»، هذه صفات متّصلة مع بعضها، يعني: **الاستكبار**، الشّعور **بالكبر**، جعل هذا الإنسان يرى نفسه أحسن من غيره.

ظهر هذا الاستكبار في القلب وحده، ممكن أن لا يظهر على اللّسان، لكن هذا أتى بها كلّها: أتى **بالكبر** في القلب، وأتى بالغلظة والجفاء في اللّسان، وفي التّصرّفات؛ ولذلك: «الـمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[5] سالمون منه، **لكن في مقابل ذلك**: المستكبر، إذَا ما لحق أن يؤذي بيده؛ فإنّه يؤذي بلسانه.

وأنت تصوّري الآن: لو أنّ هناك شخصين: "ألف" و"باء"، "ألف" لا يعرف "باء" جيّدًا فقد تعرّف عليه في مجلس، ثمّ إنّ "ألف" مدّ لسانه على "باء" وقال له أيّ كلام، "باء" ردّ عليه وأسكته. هل سيجرّب "ألف" مرّة ثانية ويمدّ لسانه على "باء"؟ لا. لماذا؟ لأنّه وجد بأنّه لا يستطيع **التّكبّر** عليه، ولا يستطيع أن يرفع نفسه فوقه**!** لكن دعي أحدًا يأتيه

---

[5]() أخرجه البخاري (10).

ليّنًا هيّنًا، فمباشرةً هو ماذا يفعل؟ يصير بهذه الطّريقة! يعني فوق أنّه غليظ متجافٍ، فأيضًا هو جبان، ما ينفع إلّا أنّه يردّ عليه!

طبعا هذا ليس عذرًا لأيّ أحد أن يقول: (ما دام هكذا القصّة، ومدّ لسانه؛ فأنا أيضًا سأمدّ لساني عليه) لا! لا! فإنّ هذا ليس عذرًا؛ لأنه إذَا كان "ألف" مستكبرًا وسيّء الأخلاق؛ فإنّ "باء" يُعرض عن الجاهلين. أعرض عنهم! ولا تنزل بحالك من كمال الإيمان إلى نقص الإيمان من أجل أن تأدّبه؛ لأنه لا أحد يخسر أدبه وإيمانه وتقواه من أجل أن يَكسب غيره الإيمان والتّقوى! من أجل هذا أتى مباشرةً الحديث الّذي بعده، اقرئي لنا الّذي في رواية أحمد:

«تابع باب ذكر الكِبْر»

«ولأحمد وصحّحه ابن حبان من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه- رفعهُ: مَنْ تَواضعَ لله درجةً رفعهُ الله بِها درجةً، حتَّى يجعَلهُ في أعلَى علّيّينَ. ومن تكبَّرَ على الله درجةً وضعهُ الله بها درجةً حتّى يجعلهُ في أسفلِ سَافِلِينَ»[6].

التّعليق على الدّليل السّادس (1)

سنرى الحالتين، ونرى ما يقابلها من الجزاء:

---

[6]() أخرجه أحمد (3/76).

الحالة الأولى: «مَنْ تَواضعَ» فقط؟ «لله»، والمعنى: خالصًا لوجه الله، طالبًا رضا الله، مشغولًا بالأجر والثّواب المترتّب على ذلك؛ يعني: من تواضع لابدّ أن يكون في تفكيره وقتما تواضع إرادة رضا الله.

هناك أناس بطبعهم متواضعون، يعني رغم أنّهم عندهم أسباب لأن يكونوا متكبّرين، لكنّهم بطبعهم متواضعون. هل ينفعهم هذا التّواضع أو لا ينفعهم؟ في الأصل ينفعهم؛ يعني في الأصل أكيد أنّ المتواضع خير من المتكبّر. لكن متى سيرتفع درجة عند الله؟ حين يكون خالصًا لوجه الله.

متى يكون التّواضع على المتواضع وليس له؟ حين يتواضع من أجل المصالح. لماذا يتواضع من أجل المصالح؟ يتواضع لأجل أن يقول النّاس: (متواضع)! يحبّ المدح:

⇐ يتواضع لأنّه مثلًا يبحث عن وظيفة، ثمّ إنّ هذه الوظيفة لا يقبلون فيها إلّا شخصًا له مؤهّلات معيّنة، دعونا نفترض: يريدون أحدًا معالجًا نفسيًّا **مثلًا**؛ ما هي الشّروط؟ أن يكون بشوشًا في استقباله للنّاس، ويعاملهم بأحسن معاملة؛ فماذا

يفعل هو لأجل أن يقبلوا توظيفه في هذه الوظيفة؟ يظهر التّواضع.

⇐ يريد الزّواج في مكان، وهم ذاهبون يسألون عنه، فيظهر التّواضع بكلّ البيئة المحيطة به لأجل أن يُقال عنه كذا وكذا.

المهمّ فإنّ المصالح لا تنتهي! فنحن عندنا ثلاث حالات الآن:

الحالة الأولى: الإخلاص: وهو الّذي يترتّب عليه الأجر.

الحالة الثّانية: الطّبع: يعني الّذي يكون طبعه متواضعًا، وهذا خير كثير فهو فقط مُحتاج إلى درجة واحدة وتترتّب الأجور على عمله، لكن هذا خير وليس شرًّا أكيد.

الحالة الثّالثة: التّواضع للمصلحة: وهذا على صاحبه وليس له.

دعنا نرى المخلص، ونترك الاثنين. لماذا قلنا الحالات الثّلاثة؟ النّصّ ضبط المسألة؛ ما قيل: (من تواضع) فقط، إنّما (تواضع لله)؛ اللاّم هنا تعني: لأجل الله، قاصدًا وجه الله، طالبًا رضا الله.

وهذا ينبّهنا: أنّه كم من الأعمال القلبيّة الّتي تحتاج منّا الإخلاص؟

يعني كون أنّه في قلبك تريدِين أن تكوني متواضعة، تناجي ربّ العالمين مناجاة قلب: (أن انظر إليّ وأنا ذليلة لعبادك المؤمنين، وأدخلني في القوم الّذين تُحبّهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[7]، فتناجي ربّ العالمين؛ وهذا شيء مهمّ جدًّا في النّيّات: مناجاة ربّ العالمين، يعني حين تدخلين في العمل، أو تدخلين في الحالة، لا تدخلي وأنت متهجّمة عليها؛ فهذه الحالة تتطلّب منكِ التّواضع، وتتطلّب منكِ لين الجانب.

تصوّري أنت معلّمة مثلًا: تعلّمين النّاس الخير، والطّالب لا يتعامل معكِ معاملة الاحترام، بل معاملة النّدّيَّة، إلى آخره من المعاملة الّتي لا تليق! أنت ماذا تفعلِين في مثل هذا الموقف؟

لا تقولي في نفسك: (إنّه تعدى عليّ شخصيًّا، ومن ثَمّ أنا سأنتزع حقِي منه شخصيًّا)؛ إنّما أنت يهمّك التّعدّي الّذي يحصل على حظيرة العلم، هذا هو الّذي يحزّ في النّفس، أن يعتدي أحد على العلم، لكن تعرفِين أنّك لو رددتِ عليه ردًّا شديدًا؛ فإنّه سيترك العلم مثلًا! من المؤلّفة قلوبهم، من النّاس الّذين أوّل مرّة يسمعون، أو يحضرون أو يتعلّمون، إلى

---

[7]() المائدة: ٥٤.

آخره. فماذا تفعلين؟ تتواضعين، بمعنى: أنّك تمرّرِينها له كأنّه ما قالها، وما تكلّم، وما فعل.

لا تسمّونه بغير اسمه، لا تقولي: (يطنّش)؛ وإنّما قولوا: (يتواضع لله)؛ فإنّه من الخطأ أن تسمّوا الأشياء بغير اسمها! هذا هو الخطأ! لأنّي لو بدأت أقول: (أنا لن أرتفع عليه، أنا سأتواضع)؛ في ثانية واحدة قولي لنفسك: (أنا سأتواضع، لكن لماذا؟)، ناجي ربّنا الآن، أنّه: (من أجلك، من أجل أن ترضى، من أجل ألّا أفتنه في دينه، من أجل أن أدخل في صفات من هم: (أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)).

وسنرجع مرّة أخرى ونقول: إنّه لابدّ للأشياء أن تُسمّى باسمها؛ لأنك لن تجدِي نيّة صحيحة، لو ما أسميت العمل باسمِ العبادة الصّحيحة.

إذًا كونك تغضّين الطّرف، وتتغافلين، وتتركين الشّأن؛ كلّ هذا من باب التّواضع، الّذي تقصدين به أن يرضى الله عنك، ولا تقصدِي به أن يقول النّاس: (ما شاء الله عليها حليمة! وما شاء الله عليها كذا!)! لأنّ قول: (ما شاء الله عليها! وما شاء الله عليها!) قد يفتننا في لحظة! نعم، في ذاك الوقت يفتننا؛ لأنّك ترين العيون تراقبك الآن كيف ستتصرّفين؟ فهل هذه العيون الّتي تراقبك هي الّتي تهمّك؟ أم نظر الله إلى قلبك

-الّذي كنّا اتّفقنا عليه- من أوّل حديث في الكتاب، في باب كبائر القلوب:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[8]

فهذا هو الّذي يشغلك، أي: تقولين لربّ العالمين: (انظر لي وأنا أجاهد نفسي من أجل ألّا أنتزع حقّي، ومن أجل أن أكون ممّن هم أذلاء للمؤمنين).

هل لو كان هذا الموقف يحتاج إلى تربية، وتصحيحًا، وبيانًا، هل يدخل في هذا الباب؟ تربية، وتصحيح، وبيان لابدّ له من نفس النّيّة، يعني تبدئين من نقطة: (تواضعًا لله لابدّ أن أرشدك، تواضعًا لله لابدّ أن أعلّمك)؛ لأنّه حين يسيء الطّالب الأدب مع المعلّم؛ فإنّ المعلّم يعلم أنّه إن تركه فإنّه سيكون من الجاهلين، فهو الخسران، فيقول في نفسه أنّه: (سأدعك تخسر!) لكن حتّى التّعليم، وحتّى بذل الجهد لهذا التّعليم يكون من باب أنّه تواضعًا لله.

على كلّ حال فإنّ المسألة ليست يسيرة أبدًا! ليست يسيرة في الفهم أنّه ما هو الموقف الّذي يتحمّل التّواضع؟ وليست يسيرة في نفس التّنفيذ: (أنّه أنا حقًّا أتواضع لله!)؛ ولذلك فإنّه في كثيرٍ من الأحيان تقولين: (أنا كنت سأنفجر عليه! سأفعل

---

[8]() أخرجه مسلم (2564).

به كذا وكذا!) لابدّ أن تفكّرِي: ما الّذي منعك؟ (فقط لأنّ النّاس جالسون)! يا الله! هذه نيّة سيّئة؛ لأن النّاس جالسون، كان أحسن منها أن أصحّح نيّتي في وقت الموقف: (أنّه من أجلك، من أجل أن ترضى عنّا).

فإذًا فهمنا: «تَواضعَ لله درجةً»، يأتي ماذا؟ «رفعهُ الله بِها درجةً».

ما المقصود بـــ «رفعهُ الله بِها درجةً»؟ يظهر من نهاية السّياق: «حتَّى يجعَلهُ في أعلَى علّيّينَ»؛ وهذا يرشدنا إلى ما نعتقده في جنّات النّعيم، من أنّها درجات، يتعَلّى فيها الخلق، على حسب أعمالهم الصّالحة.

أعمالهم الصّالحة، أي التي حقّقت شرطين:

الشّرط الأوّل: أن يكون لله.

الشّرط الثّاني: أن يكون على ما يُرضى الله، أو اتّباعًا لرسول الله.

فإذًا: أنت عرفتِ أنّ التّواضع من دين الله، اتّباعًا لرسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وحتّى يكون هذا التّواضع لله، فمعناه: أنّ العبد عمل عملًا صالحًا.

فتخيّلي: كلّ لحظة من حياتك تتعرّضين فيها لموقف يستلزم فيه ألّا **تتكبّري** على الخلق، ماذا يحصل لك؟ ترتفعين درجة في جنّات النّعيم.

دعنا نفكّر: في الدّرجة؛ لأنّ الدّرجة عندنا في الدّنيا لا تتعدّى الأشياء البسيطة التّافهة، لو أتينا مثلًا: للسّلالم الّتي يصعدها النّاس ويرقون فيها، الدّرجة لابدّ أن تكون على قدر قدرة الإنسان على الارتفاع، مهما كان تكون على قدر قدرة الإنسان على أن يرتفع فيها ويصعد في السّلالم. هذه درجة. درجة، يعني: يأخذ خمس درجات، ستّ درجات. درجة في السّلّم الوظيفي يعني: يرتفع كذا وكذا؛ كلّ هذا لا شيء!

درجات الجنّة فيها حال: أنّه يُرى مثلًا - كما وُصف في الحديث: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»[9].

يُرى «أَهْلَ الْغُرَفِ»، الّتي **هي**: درجة من درجات الجنّة العالية، **يعني**: أهل الدّرجة الأقلّ، يروا أهل الدّرجة العالية الّتي هي «الْغُرَفِ» كما في الدّنيا يرى النّاس الّذين على

---

[9]) أخرجه مسلم (5188).

الأرض «الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ»، يعني: الكوكب البعيد، الإضاءة البعيدة. فهكذا يصير بين درجات الجنّة؛ وتصوّري: يصلها الإنسان بماذا؟ بأن يتواضع لله ربّما في ثوانٍ!

فالمقصد: أنّ العبد فُتح له باب عظيم مع قِصَرِ العُمر؛ فالعمر قصير! فُتحت أبواب للطّاعة كثيرة جدًّا، وقريبة جدًّا، وفي متناول اليد؛ ولذلك في الحديث أنّ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ»[10]، ما معنى أن الجنّة أقرب من شراك النّعل؟ يعني: الوصول إليها، الأعمال الّتي توصلك إليها قريبة لهذه الدّرجة.

المقصد: أنّ هناك أعمال قلبية كثيرة جدًّا منها التّواضع، الّذي يأخذ منك دقائق، بل أحيانًا ثوانٍ، فهو قريب منك. وهو يوصلك إلى الجنّة.

ثمّ إنّ التّواضع لابدّ أن تكون نيّته صحيحة. ما هو العمل؟ التّواضع. ماذا تكون نيّته؟ لله؛ فهو صار العمل القريب الّذي يوصلك للجنّة. أعمال خالصة لوجه الله، هذه نيّتك فيها، **مثالها السّهل**: التّواضع؛ أنّك تتواضعين في ثانية، فترتفعِي درجات؛ في الحديث: «حتّى يجعَلَهُ في أعلَى علّيّينَ»، من أيّ باب؟ من باب التّواضع؛ ولذا كانوا يقولون في بعض الآثار: "إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَفْضُلِ النَّاسَ بِأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَهُمْ صَلَاةً

---

[10]) أخرجه البخاري (6150).

وَصَوْمًا، وَإِنَّمَا فَضَلَهُمْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ ."[11] يعني هذا الّذي وقر في القلب، جعله -رضي الله عنه- يسبق بقيّة الصّحابة.

على كلّ حال هذا الوجه واضح، وهو: علاج للكبيرة -أنّك تتواضعين-

التّعليق على الدّليل السّادس (2)

نأتي للشّقّ الثّاني، وبعد ذلك إجمالًا نقول ماذا يلزمنا أن نفعل؟ عرفنا أنّه سيقابل التّواضع: التّكبّر؛ في الحديث نفسه: «ومن تكبَّرَ على الله درجةً وضعهُ الله بها درجةً حتّى يجعلهُ في أسفلِ سَافِلِينَ»، طبعًا هذا مقابل هذا.

«ومن تكبَّرَ على الله» بمعنى:

1) تكبّر على دين الله.

2) تكبّر على عباد الله.

1_ تكبّر الإنسان على دين الله:

كيف يتكبّر الإنسان على دين الله؟

- **يتكبّر على دين الله:** بأن ينتقد الدّين! وهذه أحد الجرائم العظيمة، الّتي تكون ناشئة من دخول الشّبهات إلى القلوب، تدخل الشّبهة فهو يتكبّر على دين الله!

---

[11]() الزهد لأبي داود _ مِنْ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (37).

□ **يتكبّر على دين الله:** كأنّنا نقول: أنّ هذا المتكبّر يرى نفسه أنّه يفكّر بطريقة خيرًا من الشّريعة.

وطبعًا أنت تجدين هذا المرض، مرض الشّبهة، منتشرًا بين النّاس، الّذين عندهم ضعف إيمان، وجهل، وربّما هذا كان من وساوس الشّيطان أيضًا، لكن حين تأتي وساوس الشّيطان، عليك بماذا؟

1. عليك بالمجاهدة والمدافعة.

2. لكن أهمّ شيء أن لا تستقرّ في القلب! لا تأتي لحظة تشعرين بنفسك أنّك تفهمين، وتدركين، وعندك آراء في الشّريعة، نهايتها أنّك ترين أنّ آرائك خير ممّا شُرِّعَ!

هناك أُناس هذا الشّيء موجود في نفوسهم لا يُصرّحنا به، تقيَّة! لكنّ الشّكّ يدور ويدور في نفوسهم حول حكم من الأحكام؛ وحين يدور الشّكّ في نفوسهم حول حكم من الأحكام؛ من المفترض أنّهم أمامه ماذا يقولون؟ (آمنّا، سَلّمنا!)، لكن هم يسكتون على أنفسهم إلى أن يكبر الشّكّ، ويذهب الإيمان! وهذا الّذي في الأخير من الممكن -الله يحفظنا، ويحفظ ذرّيّاتنا، والمسلمين جميعًا- أن يصل إلى التّصريح بالإلحاد! يعني: بدايته هو: التّكبّر على الله! التّكبّر على الله، يعني: التّكبّر على دين الله.

2_ تكبّر الإنسان على عباد الله:

ثمّ يأتينا التّكبّر على عباد الله، وقد سبق أن ناقشناه في اللّقاء الماضي؛ وملخّصه هي الكلمة الّتي قالها إبليس، هي: الطّريقة الإبليسيّة: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[12]! فهو يرى نفسه ﴿خَيْرٌ مِّنْهُ﴾! ﴿خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ في تفكيره! ﴿خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ في مكانه! ﴿خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ في جنسيّته! ﴿خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ في لونه! ﴿خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ في أيّ شيء! فأيّ شيء تأتيك فيه مشاعر أنّك خير من أحد؛ سيكون كِبْرًا.

ونحن اتّفقنا المرّة الماضية: أنّ المسلمين خيرٌ من الكفّار أكيد، أنت لا تصفين نفسك الآن؛ وإنّما تصفين الشّرع، الدّين، ليس أنتِ، وطالما العبد متمسّك بالدّين؛ فالله الّذي تفضّل.

ولذلك لا يوجد أحد يأتي ينتقد أهل البدعة، على أساس أنّه ما عندهم عقل، ويرى نفسه خيرًا منهم، على أساس أنّه هو الّذي يفهم، ليس على أساس أنّ الله وّفّق، ويسّرَ، ودلَّ عل الحقّ، يعني مثلًا: ترين في عاشوراء، أفعالًا لا يقبلها لا عقل ولا إنسانيّة من عند الرّوافض، وغيرهم. فترين مثل هذا فتقولِي: (والله ما عندهم عقل!)، هذا الكلام صحيح، أنّ هناك تصرّفات لا تناسب العقل ولا الإنسانيّة، لكن أنت ماذا ترين نفسك؟ هل ترين نفسك أنّك أحسن منهم، أم أنت ترين ما قاله

---

[12]) الأعراف: ١٢.

السّلف: "لا أدري على أيّ النّعمتين أشكر، أن هداني للإسلام، أم سلّمني من الأهواء"؛ لابدّ أن يكون شعورك: أنّ هذا الفضل أتى مِن الله، أن سلّمنا من الأهواء، فأنت ليس باختيارك أن سَلِمْتِ من الأهواء؛ وإنّما هذا من فضل الله. فستعود النّعمة لربّ العالمين، وليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾!

الحمد الله الّذي عافنا، لكن لا تقولِي:(الحمد الله الّذي عافنا)، كلمة من طرف اللّسان، وفي الوجدان إحساس أنّه أنت الّتي اخترت أن تكوني معافاة!

- فالهداية للإسلام من فضله.
- والسّلامة من الأهواء من فضله أيضًا.

الله يسلّمنا من الأهواء، ويسلّم ذرّيّاتنا، ويسلّم المسلمين جميعًا.

سأعيد الجملة من جديد: لا يفعل أحد هذا إلّا -الله يحفظنا كلّنا- وزلّت قدمه في بدعة! ما يقول هذا الكلام متكبّرًا، واثقًا من نفسه أنّه هو الّذي تمسّك بالسّنّة، ومن ثمّ وصل إليها، وأنّه خير من غيره، إلّا وتزلّ قدمه في نوع بدعة!

ماذا نفعل مرّة أخرى؟ سَنُثْنِي على من؟ سنُثني على الله أن سلّمنا من الأهواء، لا يُثني أحد على نفسه؛ أَثْنِي على الله، اشكري الله، انسبي النّعمة لله.

بذلك تكلّمنا عن **التّكبّر**، الّذي هو التّكبّر المتّصل بالتّكبّر على الله، والتّكبّر على عباد الله. ما هو الجزاء؟ «ومن تكبَّرَ على الله درجةً وضعهُ الله بها درجةً»، الّتي هي دركات النّار، «حتّى يجعلهُ في أسفلِ سَافِلِينَ»؛ وهذا يجعلنا نقول: أنّ استمرار الكِبْر يكاد يكون من صفات المنافقين! يعني: نفاقًا أكبرًا! وهذا واضح جدًّا؛ لأنّك تسمعين عنهم في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾[13]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[14].

على أساس أنّهم العقلاء! والّذي آمن وسار خلف النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- سفهاء!

فحين تسمعين: «أسفلِ سَافِلِينَ»؛ هذا سينبّهك أنّ الّذين يكونون في النّار «أسفلِ سَافِلِينَ» أو في الدّرك الأسفل من النّار. هم المنافقون! كأنّ النّفاق مفتاحه: **الكِبْر**، يعني: يبدأ يدخل الإنسان النّفاق بسبب **الكِبْر**!

هكذا انتهينا من النّص، سننتقل سريعًا للنّصّ الّذي بعده؛ لأننا من الضّروري بعد كلّ كبيرة نقول: ما العلاج؟ لأنّ هذا هو الّذي يهمّنا.

---

[13]() البقرة: ١١.

[14]() البقرة: ١٣.

التّعليق على الدّليل السّابع

(وللطّبراني عنِ ابنِ عُمرَ -رضي الله عنهما- رفَعَهُ: إلى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- («إيّاكم والكبرَ فإنَّ الكبرَ يكونُ في الرَّجُلِ وإنَّ عليهِ العباءةَ[15]») [16] رواتهُ ثِقاتٌ.)

ما معنى هذا؟ الجملة الأولى: «إيّاكم والكبرَ»، يعني: التّحذير من الكِبْر.

لكن ما معنى: «فإنَّ الكبرَ يكونُ في الرَّجُلِ وإنَّ عليهِ العباءةَ»؟ المقصد: «العباءةَ»، رمز للفقر. «وإنَّ عليهِ العباءةَ»، يعني: ما عنده من اللّباس، ومن الجاه ما يجعل عليه القُمصان، أو عليه كذا، أو الحُلّة، إلى آخره، يعني: هي أسماء اللّباس الّتي يلبسها الأغنياء.

«فإنَّ الكبرَ يكونُ في الرَّجُلِ وإنَّ عليهِ العباءةَ» عليه العباءة، إشارةً إلى الفقر.

معنى ذلك: أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- يحذّر من الكِبْر. يحذّر مَنْ الآن؟ يحذّر جميع النّاس، خاصّةً من ليس عنده شيء. أنت تتصوّرين أنّ الّذي يُحَذّر من الكِبْر، هو الّذي عنده شيء! فكلّ النّصوص السّابقة كانت للّذي عنده شيء، هذا النّص أتى يقول: لا أنت الّذي ما عندك شيء، لا

---

[15]() **وأن عليه العباءة**: أي من شدة الحاجة وضنك المعيشة وقلة الشيء ولا يمنعه رثاثة حاله عن النظر في عاقبته وحاله أن يتكبر.

[16]() أخرجه الطبراني(4937).

تأتي وتتصوّر أنّك لا تُخَاطَبُ بالنّهي عن الكِبْر! يعني: الرّجل ليس عليه إلّا العباءة، حين يأتي أحد يقول له: (إيّاك والكِبْر!)، فيقول: (أين أنا وأين الكِبْر! ماذا عندي لأجل أن أتكّبر؟!) ويكون قلبه مليء بالتّكبّر! السّبب: أنّ **الكِبْر** مرض؛ فالإنسان إلّا ويبحث عن شيء يعلو به عن غيره! فمعنى ذلك: أنّ الرّجل تكون عليه العباءة، ما عنده شيء يفتخر به، فيبحث في نفسه، أو فيما حوله، ما يجعله خيرًا من غيره!

فإذًا: هذا التّحذير لكلّ الناس، لمن عنده أسباب **للكِبْر**، ولمن ليس عنده أسباب **للكِبْر**؛ لأنّ الّذي ليس عنده أسباب **للكِبْر**، يبحث عن أسباب يرفع فيها نفسه على غيره!

ولذا هناك شيء خطير يأتي هنا: أنّه من الممكن أن لا يجد ولا أيّ سبب من أسباب الدّنيا يتكبّر فيه، فيذهب يحفظ القرآن! يذهب للالتحاق بأهل الاستقامة! يذهب فيصبح إمامًا! مؤذّنًا! لأجل أن يقول: (أنا مستقيم، وأنتم غير مستقيمين! لأنّ أنا عندي دين، وأنتم ما عندكم دين!)؛ **المهمّ في النّهاية**: إذَا ما وجد شيئًا من دنياه ينافس فيه أهل الدّنيا، ويتكبّر عليهم؛ يعود إلى دينه!

علاج كبيرة الكِبْر

العلاج الأوّل للكبر: تفتيش القلب عن الشّأن الّذي يجد نفسه خيرًا من غيره فيه.

انظرن: فإنّ هذه هي النّقطة الجوهريّة: يعني:

- الّذي يرى نفسه خيرًا من غيره بِنَسَبِهِ! فإنّ هذه هي نقطته الجوهريّة، الّتي أصلًا يمكن أن يدخل عليه التّكبّر منها.

- الّذي يرى نفسه أذكى من غيره.

وعُدِّي، وعُدِّي!

- الّذي يرى نفسه لونه خير من لون غيره.

- الّذي بيته خير من بيت غيره.

- الّذي أولاده خير من أولاد غيره.

عُدِّي ولن ننتهي! المهمّ فتّشي: ما هي النّقطة الّتي من الممكن أن تكون في قلبك وكأنّها هي نقطة التّميّز؟ يعني: نقطة التّميّز الّتي ترين نفسك أحسن من غيرك فيها؛ فهذه أوّل نقطة، وأهمّ نقطة؛ لأنّها لا تظهر! لا تستطيعين أن تُراقبي نفسك إلّا حين تضعين يدك على النّقطة الّتي ترين نفسك فيها خيرًا! لأنّ إبليس ماذا قال؟ ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾؛ فإذًا: هو يرى أنّ النّار الّتي خُلق منها سبب لخيريّته. فلابدّ من أنّ هناك شيء في النّفس الإنسانيّة يرى نفسه فيه أنّه خير من غيره! وفي كلّ زمن يتغيّر هذا.

دعنا نفترض: أنت في عائلتك، أنت وهم من نفس القبيلة، فلا يوجد مجال أنّك تفتخرين بها، لكن تنتقلين من مكانك، تذهبين إلى مكان ثانٍ؛ حيث يكون الأنساب أقلّ في تصوّرك. فهذا شيء ما كنتِ تفتخرين به، ثمّ ذهبتِ إلى بيئة تُهيّئ لك أن تفتخري به، فَيَجِدُّ عليكِ الشّيء بعدما لم يكن!

أنتِ كنتِ ترين نفسك إنسانة عادية، بعد ذلك كلّما قابلك أحد قال: (ما شاء الله فهيمة! ذكيّة!)، يتكرّر عليكِ الكلام. درستِ، تعلّمتِ، نجحتِ، صار النّاس يقولون لك: (ذكيّة!)، فإذًا: دخل هذا المصطلح وبدأ يصبح نقطة ضعف في نفسك!

إذًا: هذا هو الأمر الأوّل في العلاج، اعرفي أين النّقطة الّتي من الممكن أن تحدّثك نفسك بأنّك خير من النّاس فيها، وضعي يدك على النّقطة؛ فمن الممكن أن تكون واحدة، أو اثنان، أو عشرة، على حسب الأمراض! على حسب التّوسّع في المسألة، فليس شرطًا أن تكون نقطة واحدة.

العلاج الثّاني للكبر: الحرص على تذكير النّفس بأنّه ما من نعمة صغيرة أو كبيرة إلّا وهي من عطيّة الله:

بمعنى: أيّ شيء أنت ترين أنّه مميّز، ماذا ستقولين؟ (من عطيّة الله، لا يد لي فيه)، وهذا أيًّا كان! أيًّا كان! أيًّا كان! حتّى إحسانك مثلًا: في البيت، إحسانك في مهارتك في الأمور اليسيرة: أحسن من أناس كثيرين، سريعة في كذا. هل

ترين؟ حتّى هذه الأشياء البسيطة؛ لابدّ أن تعرفي: أنّ النّفس ممكن لضعفها أن تفتخر بها.

والأمر الثّاني: من أجل أن تعالجي هذه المسألة: ذكّري نفسك أنّه أيّ تفاصيل نعمة؛ إنّما هي من الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[17]؛ فما من نعمة صغيرة أو كبيرة إلّا من الله.

العلاج الثّالث للكبر: تقدير هذا المميّز مع ما هو أعظم منه، من نعمة الإيمان ونعمة القرآن، وغيرها:

يعني: حين تقولِين لنفسك أيّ شيء: (أنّك مميّزه فيه)، قارني نفسك مثلًا: بالسّلف الصّالح وإيمانهم، وتقواهم، ويقينهم، وما تقدّموا به، بمعنى: أنّك لو وجدت أصلًا أنّ الّذي تفتخرين به إنّما هو شأن يتّصل بالدّنيا، قولي: (وماذا يعني هذا الّذي هو من الدّنيا؟!) بمعنى: تقليل هذا الّذي سبّب لك الفخر، بمقارنته بالعطايا العظيمة، الّتي هي العطايا المتّصلة بالإيمان؛ لأنّ كلّ ذلك ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[18] أيّ شيء يتّصل بالدّنيا سيفتخر به الإنسان؛ سنرجع نقول لأنفسنا: (هذا كلّه دنيا! نعم، دنيا لن تساوي شيئًا!)، لكن الّذي تَفْرَحِينَ به وتَزَيْنَهُ من فضل الله، هو الإيمان، والقرآن؛ ولذلك الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ

---

[17] () النحل: ٥٣.
[18] () آل عمران: ١٤.

خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)[19]، (وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)[20].

- (وَرَحْمَتُ رَبِّكَ)، يعني: الجنّة.
- (خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ): من شأن الدّنيا.

فلابدّ أن تقولِي لنفسك: (أنّ هذا الّذي عندي مهما كان مميّزًا، ماذا سيكون في مقابل الإيمان حين يُعطى لأحد؟!)، حين يُعطى الإيمان أو القرآن لأحد، مهما كان عنده نقص؛ فهذا الإيمان والقرآن يرفعانه عند الله، يعني: كأنّك تقولين: (هذه النّعم الّتي أُعطيتها، مهما كانت نعمة في الدّنيا، لكنّها لا تستوجب الفخر؛ إنّما الّذي يريد أن يفرح الفرح الحقيقي فإنّه يفرح بالإيمان والقرآن).

أنتِ فكّري هكذا بمنطق، وقولي لنفسك: (بماذا أنت فرحة؟! فالّذي أنت فرحة به ما هو إلّا شأن يتّصل بالدّنيا!). فهكذا باختصار: ما هو إلّا شأن يتّصل بالدّنيا؛ ستفرحِين حقيقةً بماذا؟

- ✔ حين تُزادين من الإيمان.
- ✔ تفرحين حقيقةً حين تحفظين شيئًا من القرآن.
- ✔ حين تُدندنين بالقرآن، من كثرة سماعك له.

[19]() يونس: ٥٨.
[20]() الزخرف: ٣٢.

فمباشرةً تشعرين أنّ في قلبك انشراح، تحمدين الله عليه. وسنرجع مرّة أخرى نقول: فإنّه ليس بجهدنا ولا... إلى آخره.

إذًا قارني العطيّة مهما كانت عظيمة، بعطايا الإيمان والقرآن، وسيظهر لكِ أنّه هذه العطيّة مهما كانت شيئًا قليلًا، في مقابل: لو أُعطي الإنسان الإيمان، فلو كان الّذي تعطي نفسك خيرًا منه، أُعطي الإيمان والقرآن، هذا كلّ الّذي عندك لا شيء!

ولذلك -كما مرّ معنا سابقًا- أنّ الموالي، العبيد الّذين أُعتقوا، كانوا في زمن الإسلام الأوّل قادة، ومعلّمين فما ضرّهم أنّهم كانوا عبيدًا! بل بقيت أسماؤهم إلى هذا العصر! وقد قيل عن كثير منهم، إنّهم لا يُفتون إذَا كان فلان موجودًا، وفلان هذا لونه كذا، وشعره كذا، وعينه كذا -من النّقائص- ومع ذلك بقي اسمهم مخلّدًا في التّاريخ! فالنّاس حين يفتخرون بشيء من الدّنيا؛ الدّنيا تذهب، ولا يبقى إلّا الإيمان، ولا يخدم الإيمان إلّا القرآن، ومن ينصر القرآن. فقط هذا الّذي يبقى، أمّا كلّ شيء آخر لا يستحقّ أن تفخر به.

العلاج الرّابع للكبر: عدم صحبة من يُثير عليك الكِبْر:

من العلاج أن لا تصاحب أحدًا يُثير عليك **الكِبْر**. من الّذي يُثير عليك **الكِبْر**؟ الجاهلون يُثيرون عليك **الكِبْر**؛ يُثيرونه

بطُرق مختلفة، بمقاصد مختلفة، فليس شرطًا أن يكون مقصدهم سيّئًا، لكن كلّ فترة يمدحونك بشيء، فيحصل لك **الكِبْر!**

ونحن من هنا سندخل إلى ما بعده، الّذي هو **العُجْب**.

«باب العُجْب»

ليس معنا وقت كثير لكن سنقارن بين **الكِبْر**، و**العُجْب!** ونتصوّر كيف أنّ النقطة الرّابعة الّتي هي الصّحبة، من الممكن أن تفتح لنا مشكلة جديدة وهي **العُجْب**.

اقرئي فقط أوّل السّياق:

(باب ذكر العُجْب: وقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾[21]

روي عن ابن مسعودٍ أنه قال: «الهلَاكُ في اثنتينِ: القُنوط و**العُجْب**».

عنْ أبي بكرةَ أنَّ رجلًا ذكر عندَ النبي -صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ- فأثنَى عليهِ رجُل خيرًا فقال النبي -صلّى الله عليه وسلّمَ-: «ويحك قطعت عنق صاحبك» ردده مرارًا ثمَّ قال: «إنْ كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل أحسبُه كذا وكذا إن كان يرى أنّه كذلك وحسيبه الله ولا أُزكِّي على الله أحدًا»[22].)

---

[21]() المعارج: ٢٧.

[22]() أخرجه البخاري (2662).

نحن سنأخذ هذا النّصّ، ولن نبدأ من الأوّل، ونرى ارتباطه بالسّابق. الآن الباب الأوّل، الكبيرة الأولى كانت كبيرة **الكِبْر**، والكبيرة الثّانية **العُجْب**. و**الكِبْر**، و**العُجْب**، بينهما اتّصال شديد، أحد أهمّ أسباب الكبيرتين: المدح! أنّ أحدًا يمدحك، يُكيل لك المدح؛ واليوم المدح أصبح تجارة، يمدحونك، ويمدحونك، ويأخذون من ورائك الّذي يريدونه؛ لأن المدح يُسكر الممدوح، يُسكره، يُغيّب عقله، فيمدحه، ويمدحه، وبعد ذلك يأخذ منه أيّ شيء، يأخذ منه معلومة، يأخذ منه فكرة، يأخذ منه الّذي يريده! ولذا أنتِ تجدين الشّابّات قليلات الخبرة، يسقطن في حبال الذّئاب بالمدح! يمدحها فتظنّه صادقًا، فيجُرّها إلى الحرام! **فهنا أين تكمن المشكلة**: أنّ النّفوس متعلّقة جدًّا بالثّناء! الثّناء كيف يأتي **بالعُجْب**؟ وكيف يأتي **بالكِبْر**؟ الثّناء أول شيء يأتي **بالعُجْب**، وبعد ذلك يأتي **بالكِبْر**؛ الثّناء يأتي **بالعُجْب** لأجل ذلك هو عَقَدَهُ في باب **العُجْب**، وبعد ذلك يأتي **بالكِبْر**.

كيف يأتي **بالعُجْب**؟ حين يمرّ عليك أحدهم كلّ فترة يقول لكِ: (ما أجملك، ما ألطفك)! ماذا يحصل بعد ذلك؟ تصدّقين نفسك، يعني: في البداية، **هو**: مدح؛ وإنّه من الممكن أن تكون الصّفة أصلًا غير موجودة فيكِ، لكن من كثرة المدح؛ الإنسان يصدّق أنّ هذه الصّفة فيه، أو هي تكون فيكِ لا بأس،

لكن ما كنت تشعرين بها؛ وإنّما تشعرين بأنّها عادية، أو كلّ النّاس حولك بنفس الصّفة، لكنّ هذا أبرزها لك، مع الزّمن حين تخلين بنفسك تأتي هذه الخواطر، كلامه يأتي على بالك، وتشعرين بالانتشاء!

إذًا: **العُجْب** يحصل والإنسان وحده! **يعني:** لا يرى أنّه خيرٌ من أحد! لا ليس هناك مقارنة؛ **العُجْب** ليس به مقارنة، يعني: الإنسان يُعجب بنفسه ولو كان في الصّحراء وحده!

ما هي علّة **العُجْب**؟ كثرة المدح الّتي تصدر من أحد لك، فيمدحك، ويمدحك، فتصلي إلى أنّك تلتفتين إلى هذا، وتنتشين به، وبعد ذلك كلّ مرّة وأنت وحدك تقولين لنفسك: (ما أذكاني! ما أظرفني! ما أجملني!) وكلّ مرّة يزيد هذا الكلام، يعني كلّ مرّة تقعين في **العُجْب**!

ما هو الفرق بينه وبين ذكر نعمة الله؟

فرق كبير طبعًا! لأنّ الّذي يذكر نعمة الله، سيبتدئ من عند الله، وينتهي شكرًا لله: (أنّ الله منَّ علينا، أنّ الله اختصّنَا، أنّه لولا تفضّله كنّا هلكنا، لولا تفضّله ما كنّا...) فرق كبير، يزيد الإنسان فقرًا، يعني: ذكر نعمة الله تزيد الإنسان فقرًا لله، وليس بأن تزيده بنفسه فخرًا.

حين يُعجب، يُعجب بنفسه؛ نبدأ نخرج من النّفس، ويبدأ يقارن الّذي عنده بالّذي عند غيره، فيرى نفسه أحسن منهم، إذَا رأى نفسه أحسن منهم جاءنا **الكِبْر**.

فالمسألة تبدأ غالبًا: أنّ الإنسان يُعجب بنفسه، أو يُعجب بصفةٍ في نفسه، أو يُعجب بشيء تميّز به، ثمّ يتطوّر هذا من الانتشاء به إلى مقارنة نفسك بالنّاس، ومن ثمّ يحصل **الكِبْر**، وهذا كلّه يمكن أن يكون بسبب النّاس، يعني: أنت أصلًا غافلة تمامًا عن هذا، غافلة ولا تدرين أنّ هذا يميّزك، لكنّ النّاس يمكن أن يكذبوا فيقولوا لك بأنّك متميّزة، يكذبون. ممكن يكون بدون مقاصد، ممكن أن يكونوا يكذبون بدون مقاصد، وممكن أن يكون بمقاصد.

الشّاهد: أنّ النّاس لهم يد قويّة جدًّا لدخول **العُجْب!** لكن ليسوا هم فقط الّذين لهم يد؛ إنّما أحيانًا يكون الإنسان بسبب وسواس الشّيطان يلتفت إلى نعمة الله، لكن بدلًا من أن ينسبها لله؛ ينسبها لنفسه، وهذه شرارة **العُجْب!** يعني: نحن أصبح عندنا شرارتان **للعُجْب**:

الشّرارة الأولى: مدح النّاس. شرارة **للعُجْب**.

الشّرارة الثّانية: النّظر إلى نِعَمِ الله، وعدم نسبتها لله؛ وإنّما نسبتها لنفسه. أيضًا الشّرارة الأخرى **للعُجْب**.

فمعناه: أنّ الإنسان بدون النّاس ممكن أن يُعجب بنفسه، يأتي هكذا في يوم من الأيّام يقول: (كم أنجزت؟! ماهي إنجازاتي؟!)، فيُفكّر، يجد نفسه مُنجزًا، فيقول: (سأصنع دولابًا لإنجازاتي، سأصنع غرفة خاصّة أضع فيها شهادات التّقدير، وأضع فيها كذا وكذا!)، وكلّما مرّ على الغرفة؛ يزيد الانتشاء، وتزيد مشاعر أنّه كذا وكذا!

طبعًا غالبًا النّاس يقولون لك: (نحن ما نقصد!)؛ هذا الأمر بين العبد وبين ربّه! نحن ليس لنا علاقة يقصد أو لا يقصد، لكن لا أحد يعين الشّيطان على نفسه! والعبد إن أراد أن ينجو، فليُذكّر نفسه بِنِعَمِ الله، وأنّه لولا الله ما كان، وليُذكّر نفسه بخطاياه وذنوبه، وليُذكّر نفسه بمن سبقه، وعنده من النِّعَمِ أعظم من هذا، وما حصل له أنّه أُعجب.

يعني نفترض: لو كان عالـمًا، نقصد: عالـمًا دنيويًّا، يعني: أنت ماذا في بحر العلماء كلّهم؟! ماذا تكونين؟! لا شيء! قارني نفسك ببحر العلماء ستفهمين المسألة! ثمّ إنّه لولا أن نجّاك الله؛ ما كان ولا كنت!

يعني: لابدّ أنّنا لا نهيّئ لأنفسنا أجواء تسبّب الأمراض! هناك أجواء تسبّب الأمراض: أنّه يفتخر بنفسه، أنّه يُظهر إنجازاته...وطوال الوقت يقول لك: (من أجل أن لا أُحطّم! من أجل لا أُحبط!...)

نحن نقول في الدعاء: «وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرَفَةَ عَيْنٍ»[23]، وفي رواية أحمد لهذا الحديث: «فإنّك إن تكلني إلى نفسى تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك»، يعني: أنت تقولين لربّ العالمين: (أنا لا أثق ولا بأيّ شيء، لا بإنجاز، ولا بغيره، أنا لا أثق إلّا في رحمتك)، فالعبد الّذي هذه حالته، هذا هو الّذي يقول من قلبه، وقتما يقرأ الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[24]؛ لأنّه يعرف لو ما هداه ربّنا الصّراط المستقيم في شأن دينه ودنياه، إلّا وتزلَّ قدمه! إلّا أنّنا نحن في حفظ الله ورعايته، وبغير حفظ الله ورعايته ما يكون الخلق.

نتدارس أكثر -إن شاء الله- الأسبوع القادم في الكلام حول: **العُجْب**.

جزاكنّ الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[23]() المستدرك على الصحيحين (1958).

[24]() الفاتحة: ٦.

اللّقاء السّابع

1 صفر 1440

تابع باب العُجْب

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه، أن يُصلح لنا قلوبنا، وأعمالنا، ونيّاتنا، وذرّيّتنا، اللّهمّ آمين.

بسم الله، توكّلنا على الله، كنّا نتدارس هذا الموضوع المهمّ، موضوع **"الكبائر"**، وقد نبّهنا كثيرًا إلى أهمّيّة هذا الموضوع، عمومًا **"الكبائر"**، و**"كبائر القلوب"** خصوصًا؛ لأنّ الشّيخ كما رأيتنّ، لـمّا سمّى الرّسالة: **"الكبائر"**، قسّمها إلى فصول، وبعد ذلك قسّمها إلى أبواب: **"باب ذكر العُجْب"**، **"باب ذكر الكِبْر"**، **"باب ذكر كبائر القلوب"**، فكبائر القلوب كأنّه فصل تحته أمور تعملها القلوب، أو ترتكبها القلوب، كبائر ترتكبها القلوب.

المهمّ: أنّنا متّفقون على أنّ القلوب تُحصّل، تفعل، مصدر للحسنات، ومصدر للسّيّئات؛ فلا تهملي قلبك، أهمّ شيء تعتنين به هو: قلبك.

فليُعلم: أنّ صلاح القلب سبب لصلاح العمل: «إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[25] فأهمّ مسألة تعتني بها إصلاح قلبك؛ ولذلك من أكثر الأدعية الّتي يدعو بها من عرف الحقيقة: أن يدعو ربّه أن يُصلح له قلبه. الله يصلح لنا قلوبنا، نحن وذرّياتنا، وأحبابنا، والمسلمين جميعًا، اللّهمّ آمين.

هذا الإصلاح، فيه إصلاح عامّ وإصلاح تفصيليّ:

الإصلاح العامّ: يكون ببذل الجهد للتّفكير في الآخرة، وجعل الدّنيا وسيلة للآخرة.

هل تريدين أن تُصلحي قلبك عمومًا؟ إشارة الإصلاح: أن تكون الدّنيا طريقًا للآخرة، بمعنى: أنّه كلّما طمعت في الدّنيا أكثر، كلّما فكّرت أكثر أنّ الدّنيا هذه في النّهاية ماذا ستكون؟! فتبذلي جهودك أنّك ماذا تفعلين؟ ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡـَٔاخِرَةَ﴾[26]؛ وهذه الجملة القرآنية العظيمة بمثابة منهج. لا تقولي: (هل هذا يعني أن لا أعيش في الدّنيا؟!) لا، وإنّما تقولين: (الدّنيا مزرعة للآخرة)، ﴿ٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ هنا في الدّنيا، ابتغي ما أتاك الله ﴿ٱلدَّارَ ٱلۡـَٔاخِرَةَ﴾، أي: اقْصُدِي به ﴿ٱلدَّارَ ٱلۡـَٔاخِرَةَ﴾؛ وعلى ذلك ستكون حركاتك، وسكناتك، وكلامك، واهتماماتك، كلّها دائرة حول الدار الآخرة، يعني

---

[25]() أخرجه البخاري (52).

[26]() القصص: ٧٧.

ستعيشين الدّنيا تقصدين الدّار الآخرة. **المهمّ أن نتصوّر:** أنّ هذا ممكن بكلّ يسر وسهولة لمن يسّر الله -عزّ وجلّ- عليه. فهذه القاعدة الأولى.

هذا اسمه: "الإصلاح العامّ للقلب". هل تريدين إصلاحًا للقلب؟ ابدئي بأن تعتني بشأن الآخرة على شأن الدّنيا. فهذا أوّل الإصلاح.

نأتي للإصلاح التّفصيلي:

الإصلاح التّفصيلي: يكون بمراقبة القلب، وتصوّر علامات المرض والصّحّة، حين يهتمّ النّاس جدًّا بالدّنيا، وبصحّتهم البدنيّة؛ دائمًا يراقبون ماذا؟ يراقبون الصّحّة والمرض، وأيّ علامة للمرض يتابعونها، ويتابعونها من أجل الشّفاء!

الإصلاح التّفصيلي للقلب يكون بأن تلاحظي أيّ ظاهرة تدلّ على المرض، وتسعين وراء قلبك، تسعين إلى أن يذهب هذا المرض.

فأنت أوّلًا اهتممت بالقاعدة العامّة: أنّ الدّنيا صارت عندك وسيلة للآخرة، والآخرة أهمّ من الدّنيا. هذه القاعدة لو صَلُحَتْ؛ ستجعلك تلتفتين أصلًا إلى قلبك.

المشكلة: أنّنا نحن غير ملتفتين لقلوبنا، كلّ التّركيز على أبداننا! على اللّذّات، الشّهوات! نريد أن نُفرح أنفسنا، أو نشرح صدورنا بالمادّيّات! ولسنا متصوّرين أنّه لو صلح القلب ستهدأ الأمور، وينشرح صدرك من أقلّ وأيسر الأحوال من جهة الدّنيا، وتصبح جنّتك أن تذكري الله، تصبح جنّتك أن تنوي عمرة، تصبح جنّتك أن تصومي، فيتغيّر سبب انشراح الصّدر، بسبب صلاح القلب.

فإذًا اتّفقنا: على القاعدة العامّة، بقيت التّفاصيل: الآن ما هي الأمراض الّتي من الممكن أن تصيب القلب فتفسده؟ مثلما ذكر الشّيخ: **الكِبْر، العُجْب، الرّياء، والسّمعة**، وما ذكر في هذا الباب. فستكون هذه أوّل المسائل، وأهمّها: أنّك تبدئين برؤية هذه الأمور، هل هي موجودة عندك أو لا؟ وتتحسّسينها تحسّسًا دقيقًا، يعني لا تحكمي على نفسك، وتقولين: (لا! أنا متواضعة)! بناء على ماذا أنت متواضعة؟! أو ترين نفسك أنّك متواضعة؟! بناءً على بعض المعالم الّتي من الممكن أن تكون أصلًا تُمارَس من باب **الكِبْر**، وليس من باب التّواضع! فالمسألة دقيقة جدًّا، تحتاج إلى تأمّل أنّ:

- هذا العمل ما مصدره؟
- هذه ردّة الفعل ما مصدرها؟

مثلًا نفترض: يُغضبُك أحد، فأنت ترين أنّ إغضابك جريمة عظيمة! لماذا؟ لأنّني فلانة! كذا وكذا من الصّفات!

انظري: أنّك تغضبِين من التّصرّف لأنّه اعتدى عليك؟ فهذا صحيح، طبيعي؛ هذه النّفس تغضب من الاعتداء، لكن حين يكون هناك عامل آخر يسبّب الغضب، ليس فقط أنّه آذاك، لكن كيف أنّه تعدّى عليك، وأنت فلانة؟! فهذا يكون هكذا خرج من كونه غضبًا، إلى كونه: -لا نقدر أن نقول كِبْرًا- لكن هناك ملامح الكِبْر! فأنت ستخافين على نفسك، مثل: لو شعرتِ بارتفاع درجة الحرارة في جسمك بالضّبط، أوّل ما تشعرِي أنّ درجة حرارتك مرتفعة؛ تبدئين تشخّصِين أنّه ماذا بالضّبط الّذي يتُعبنِي؟ ماذا بالضّبط الّذي يتُعبنِي فأصابتني هذه الحرارة؟

كأنّه نفس السّؤال:

- ما الّذي حصل في قلبي يجعلني ثائرة هذه الثّورة؟
- هل الأذيّة الّتي وقعت عليّ، تستحقّ كلّ هذه الثّورة؟
- أم هي أتت في منطقة فيها كِبْر؟

فأنت كأنّك تشخّصِين مرضًا؛ لابدّ أن تتصوّروا هذا الأمر؛ فليس مباشرةً نعطي أنفسنا أحكامًا! حتّى في **الكِبْر** و**العُجْب** ما

أعطي نفسِي أحكامًا؛ وإنّما أُشَخِّصُ، وَأَقْرَأُ في النّصوص حتّى يتبيّن لي، وأهمّ من أن أُشَخِّصُ، وَأَقْرَأُ في النّصوص: أن أدعو ربّ العالمين: (أن يُبَصِّرَنِي)، وفي النّهاية أدعو ربّنا: (أن يشفيني).

المقصد: أن أمراض القلوب أعظم أثرًا من أمراض البدن؛ وفي النّهاية البدن سيأكله الدّود، وتبقى الرّوح متأثّرة بما كان في القلب؛ فهذا كلّه يجعلنا نعتني جدًّا بنفوسنا، ونخاف أن ندخل أبوابًا ضيّقة، ونعتقد أنّنا نُحسن عملًا، ونحن لا نُحسن عملًا؛ هذا هو الّذي يخيفنا!

وَلِيُعْلَمَ: أنّ حسن الخاتمة مُرتبط بصلاح القلب، حسن الخاتمة مرتبط بالخبايا الّتي بينك وبين الله؛ لأنّ الخاتمة تُظهر الخفيّ الّذي في القلب؛ يظهر في خاتمة الإنسان؛ فحسن الخاتمة، الّذي هو مطلب النّاس كلّهم -بدون استثناء من أهل الإسلام- حسن الخاتمة مرتبط بخبايا الإيمان؛ وخبايا الإيمان، تعني: الإصلاح للقلب. نسأل الله أن يرزقنا نحن وأحبابنا حسن الخاتمة.

نحن مضى معنا: **الكِبْر**، وبدأنا فقط إشارة إلى: **العُجْب**. سنرجع نقرأ النّصوص -وإن شاء الله- يتبيّن من خلال المناقشة حقيقة هذا المرض.

(باب ذكر العُجْب: وقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾[27]

روي عن ابن مسعودٍ أنه قال: «الهلَاكُ في اثنتينِ: القُنوط والعُجْب».

عنْ أبي بكرةَ أنَّ رجلًا ذكر عندَ النبي -صلى الله عليهِ وسلمَ- فأثنَى عليهِ رجُل خيرًا فقال النبي -صلى الله عليهِ وسلَّمَ-: «وَيحَك قطعْتَ عنقَ صاحبكَ» ردَدَهُ مرارًا ثمَّ قال: «إنْ كان أحدكم مادحًا لا محَالةَ فليقلْ أحسبُهُ كذا وكذَا إن كانَ يرى أنَّهُ كذلِك وحسِيبهُ الله ولَا أُزكِّي على الله أحداً»[28].)

التّعليق على الدّليل الأوّل

نبدأ الآن بدلالة كلّ نصّ على **العُجْب**.

أوّلًا: نُعرّف **العُجْب**، ونذكر أسبابه:

العُجْب، هو: أن ينظر الإنسان إلى نفسه بالإعجاب على أنّه قد أحسن وأفلح.

العُجْب من أين يأتي؟ من الإعجاب، يعني: يصير الإنسان مُعْجبًا بنفسه هو، على أساس أنّ نفسه أنجح! أفلح! فعل ما هو مناسبًا!

---

[27]() المعارج: ٢٧.

[28]() أخرجه البخاري (2662).

ما هي أسبابه؟ **أهمّ أسبابه**: نسيان أنّ النّجاح والفلاح من عطايا الله؛ هذا أهمّ سبب، نسيان أنّ النّجاح والفلاح والقوّة، وكلّ الّذي تريدِين أنت أن تقوليه، والجمال، كلّ شيء يُعجب مِنْ مَنْ؟ مِنَ الله، نسيان أنّها عطايا من الله.

وبعد ذلك سيأتينا أكثر من ذلك تفصيلًا. ما الّذي يُزكيه؟ ما الّذي يزيده؟ المدح من النّاس يُزكيه ويزيده.

إذًا: **العُجْب** أتى من الإعجاب؛ ومن المفترض: أنّ الإعجاب يردّك إلى عطيّة الله؛ ولذلك انظري: وأنتِ تقرئين في سورة الكهف، وترين الرّجل الّذي دخل جنّته، وكيف حصل له إعجاب بها، فصاحبه نبّهه: أنّه كان من المفترض: أن تقول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[29]، عادةً، أو التّفكير الّذي يأتي سريعًا هكذا، أنّ (ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله) من الحسد. لا! ليس هذا هو المقصود؛ إنّما الحسد تُبرّك فيه، يعني حين تخافين من الحسد، قولي: (تبارك الله).

أمّا القصّة فأين سيأتي الحسد فيها؟ هو مُعجب بنفسه، فكان من المفترض أن يقول: (هذا الّذي أنا أنسبه لنفسي)! أليس هو صاحب الجنّتين، نسب لنفسه هذه النّعمة؟ فكان من المفترض أن يقول: (هاتان الجنّتان، اللّتان أشعر كأنّهما من

---

[29]() الكهف: ٣٩.

فعلي، وإحساني، وقوّتي؛ إنّما هما من مشيئة الله، وأنّ فيهما ظهرت قوّة الله)؛ فهما دليل على الأمرين:

الأمر الأوّل: مشيئة الله واختياره.

الأمر الثّاني: قدرته -سبحانه وتعالى- على كلّ شيء.

ألستا هما جنّتان أحاطهما الله بالنّخيل، وكان فيهما من أنواع الثّمار ما يُعجب؟ فيها! هذا كلّه من آثار مشيئة الله واختياره؛ أعطى هذا، وما أعطى هذا، وأعطى هذه الأنواع، وهذه الأشكال، **وهذا كلّه دليل على**: قوّة الله.

فإذَا كان هذا هو الموجود في النّفس؛ فلن يُعجب الإنسان بنفسه؛ إنّما سيتعجّب من قدرة الله، من مشيئة الله، واختياره. ونحن في حياتنا هذا واضح، يعني نكون إخوة وأخوانا، الله -عزّ وجلّ- يختار لكلّ إنسان منّا قَدَره، ويصير هناك فارق كبير بيننا، يعني بعدما تمتدّ بنا الحياة، تصير هناك فوراق كثيرة بيننا. هذه الفوارق ستدلّ على أنّ الله يفعل ما يشاء ويختار سبحانه وتعالى. فأنت تتعجّبين! وفي النّهاية كلّ إنسان قُدِّرَ له قَدَر، فاختباره في قَدَره، يصبر أم يكفر؟ يشكر أم يكفر؟ بهذا المعنى.

الآن موضوعنا الرّئيس: أنّه حين تكون قُدِّرت لكِ عطايا، وما قُدِّر لأختك عطايا؛ ماذا ستقولين؟ (ما شاء الله لا قوّة إلّا

بالله، الله الّذي شاء واختار أن تكون لي أنا العطايا، وليست لها، والقوّة ليست قوّتي)؛ فلن أقول: (أنا درست، أنا تعلّمت، أنا جريت، أنا عملت، أنا اجتهدت، أنا سهرت اللّيالي، أنا فعلت)! أصلًا هذا كلّه وإن كان حصل؛ إنّما هو بقوّة الله، فأنت لا حول لك ولا قوّة إلّا بالله.

فالمقصد الآن: أنّ أَصْل **العجب** سواء بشأن الدّنيا أو بشأن الدّين؛ إنّما لفقدان هذا المعنى: (ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله)، فيظنّ الإنسان أنّه هو الّذي أتى بالقدرة لنفسه! وأنّه هو الّذي اختار! وهو الّذي فعل!

ألسنا فاعلين ومختارين؟! نعم، نحن لا ننكر اختيار الإنسان ومشيئته، لكن اختيار الإنسان ومشيئته مرتبطة بمشيئة الله؛ قدرة العبد إنّما هي من حول الله وقوّته؛ وكم من مرّة عزمت عزمًا أكيدًا قبل أن تنامي، وأصبحت الصّباح كأنّ شيئًا لم يكن! حتّى أنّك تغضبِين على نفسك كيف أنّك أمضيت السّاعتين أو الثّلاثة باللّيل تفكّرِين فيها، ثمّ أصبحت في الصّباح وكأنّك لست أنت نفس الإنسانة! ولهذا قيل لأعرابي: "بِمَ عَرَفْتَ ربك؟ قال: بنقض العزائم وصرف الهمم" فمن دلائل وجود الله أنّك تكون أنت عازمًا، وبعد ذلك ربّنا ينقض عزمك؛ لأنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله!

الشّاهد من هذا كلّه الآن: أنّه أصلًا إذَا فكّرت بطريقة صحيحة في الألوهيّة والرّبوبيّة؛ لا يمكنك أن تُعجبي بنفسك أبدًا. هذا الآن **العُجْب** العامّ، الّذي هو في شأن الدّنيا والدّين.

الّذي يهمّنا في هذا النّقاش أكثر، هو: **العُجْب** في شأن الدّين، فهو الأخطر! يعني النّاس يُعجبون في شأن الدّنيا، ويعجبون في شأن الدّين، يُعْجب بنفسه، يقول: (أنا ذكيّ! أنا فهيم! أنا جميل!)! حتّى: (أنا طويل! وأنا قصير!)؛ فإنّه يظنّ أنّه بنفسه فعل ذلك! ما ترك للنّاس شيئًا! وكلّه من الله! يتبختر بأنّه طويل بناء على ماذا؟! بناء على أنّه هو فعل ذلك لنفسه؟! أليس ربّ العالمين هو الّذي أعطاه؟!

ويأتي النّاس يعجبون بألوانهم! ويعجبون بأشكالهم! وكلّها من عطايا الله؛ فهذه في الفهم يسيرة واضحة؛ لأنّ أيّ تنبيه بسيط؛ سنقول: (نحن لم نُلوّن أنفسنا، ولا طَوَّلْنَا أنفسنا، ولا جمَّلنا أنفسنا، ولا أيّ شيء؛ ربّ العالمين هو الّذي وهبنا هذه المواهب).

ولأجل أن تتصوّروا كيف أنّ الإنسان يريد أن يُعجب بنفسه، دائمًا ينسب لنفسه الأشياء: (أنّه هو الّذي فعل! درس! نجح!)، بهذه الطّريقة.

والصّحيح ماذا؟ انظروا إلى إبراهيم -عليه السّلام- كيف يعرّف بربّ العالمين؟ (الَّذِي خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِى

هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ)[30]؛ فالمؤمن يعرف من هو الله.

ولذا فإنّ هذا هو التّوحيد الآن: التّوحيد أنّك تكون في الأرض واحدًا لواحد في السّماء، تعرف أنّه هو يطعمك، ويسقيك، ويعطيك، والمطلوب منك أن تبقى ذا صلة به، تسأله، وترجوه، تُحسن به الظّنّ، تنتظرين منه الخير، تعتقد في أقداره الحكمة؛ فهذا هو اختبارك، إذَا احتجت؛ تسأله. أعطاك تشكره، قدّر عليك؛ تتصرّف كما يرضيه، محتار؛ تستخيره ماذا تفعل؟ تضيع في مسألة؛ تستهديه ماذا تقول؟ ماذا تفعل؟ فأنت تعيش في الأرض واحدًا لواحد في السّماء، فحين تضعف هذه الصّلة بينك وبين الواحد، يصير كأنّك وحدك! كأنّك الّذي فعلت!

وهنا لابدّ أن نعرف: أنّه من ضعف إنسانيّتنا، يعني: الإنسان هكذا طبيعته فيها ضعف، ومن ضعف الإيمان، ومن واسوس الشّيطان؛ تجتمع الثّلاثة فينسى الإنسان أنّ الفضل كلّه لله؛ ولذا انظري: كيف نقرأ سورة الكهف، كلّ مرّة ونقارن بين الفتية الّذين خرجوا من كلّ مُلك، ومن السّلطان، ومن المكانة -كما يُحكى في حقّهم- وخرجوا للإيمان وذهبوا إلى الكهف؛ من أجل الإيمان، **في مقابل**: الّذي وهبه الله

---

[30]() الشعراء: ٧٨_٨٠.

جنّتان، ووهبه أيضًا صاحبًا ينبّهه، وكان يستلزم هذا أن يعود ويستقيم، فوقع في شرك النّفس! ما هو شرك النّفس؟ **العُجْب**. يعني تُشركين نفسك مع الله، على أنّك فهيمة، ذكيّة!

ونحن نعرف أنّها تأتينا لحظات نادرة، أو كثيرة -الله أعلم- لا ندري نحن من؟ نتوه! نضيع! نفقد تركيزنا! فهذا كلّه دليل على أنّك ضعيفة غاية الضّعف!

وفي الأزمنة الماضية، كان النّاس يصابون بالخرف عندما يتقدّم عمرهم، لكن أنتِ تعدّين النّاس الّذين أُصيبوا بالخرف في القرية أو في المدينة -الآن الّذي يُسمّى بالزّهايمر- هذا مرض؛ حتّى أنّه ليس شرطًا أن يكون المريض كبيرًا في السّنّ، فمن الممكن أن يكون أقلّ ممّا كنّا نتوقّع! لماذا؟ كلّ هذا من المداواة للخلق، الله -عزّ وجلّ- يداوي الخلق الّذين أُعجبوا بأنفسهم، وأعجبوا بقدراتهم.

وعلى كل حال؛ لا يوجد زمان ظهرت فيه الأمراض العقليّة مثل هذا الزّمان! أنت ترين شابًّا صحيحًا قويّ البُنية، وبعد ذلك تجدينه مصابًا بالتّوحّد! مصابًا بالاكتئاب! بحيث أنّه بدن صحيح، ونفس ضيّقة! أو عقل ناقص! كلّ هذا دواء للخلق أنّهم يعرفون أنّ الله -عزّ وجلّ- هو الّذي يعطي القدرات، وهو الّذي يمنحها -سبحانه وتعالى- وحده، أو يمنعها وحده سبحانه وتعالى.

وسنرجع نقول: هذا كلّه في شأن الدّنيا، ولا زال واضحًا وصريحًا، ومتبيّنًا لأهل الإيمان، أقصد: **العُجْب** بشأن الدّنيا واضح، وصريح، ومتبيّن، وأقلّ تنبيهًا لأهل الإيمان؛ **يعرفون**: أنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله، لكن الأصعب الآن: هو: **العُجْب** في الدّين، يعني: **العُجْب** بالطّاعة، أنّ الإنسان يُعجب بنفسه في طاعة الله يسّرها وسهّلها، وأعطاه أسبابها، هذه هي الأزمة! وهذه الّتي غالبًا لا نستطيع مداواتها من الخارج! يعني إذَا كنت لا تُراقبين نفسك جيّدًا؛ فلن يستطيع أحد أن ينبّهك لها؛ لأنّها تدور في قلبك، وتصنع لك خيالًا واسعًا لمكانةٍ ومن الممكن أن لا يظهر أثرها إلّا طاعات وعبادات أكثر! يعني **في مقابل**: أنّه حين نُعْجَب في الدّنيا فإنّنا نقوم بتصرّفات، وكلمات، الّذي أمامك يعرف أنّك معجبة بنفسك في شأن الدّنيا، **لكن المشكلة**: الّذي يكون مُعجبًا بنفسه في شأن الدّين؛ إبرازه للإعجاب بنفسه في شأن الدّين، يكون بزيادة شأن في الدّين، بزيادة طاعات، **لكن**: يكون مبدؤها خبيث! وتكون في ميزان السّيّئات وليست في ميزان الحسنات! لأنّها صادرة من عُجْب! وإنّ **العُجْب** خصوصًا في هذا النّوع ليس له علاقة مع الآخرين، يعني: أنت بنفسك وحدك يحصل منك هذا **العُجْب**!

الآن دعنا: نبدأ بآية سورة المعارج، سنمشي على طريقة الشّيخ في بيان هذا المرض. سنترك شأن الدّنيا، ونهتمّ بشأن **"العُجْب في الدّين"**، الإعجاب بالدّين؛ فإعجابك بنفسك يحصل إمّا في الدّنيا، أو في الدّين.

دعنا نرى: في شأن الدّين الآن، سنبدأ **بآية سورة المعارج**، وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾[31]، هذا في تعداد صفات المؤمنين، الّذين هم مستثنون من الخلق؛ في تعداد صفاتهم أنّ حالهم: الإشفاق.

سنرى ما دلالة هذه الآية على المرض:

الإشفاق، **معناه**: الخوف بسبب العلم اليقيني.

لأنّ هناك خوف بسبب الأوهام، لكن الإشفاق، خوف بسبب العلم اليقيني، فهؤلاء الآن صفتهم الأساسيّة: أنّ عندهم علم يقيني، سبّب لهم الإشفاق، يعني: الخوف الشّديد، المبني على العلم، يعلمون عن ربّهم، وعن عظمته، وعن جلاله، ما يجعلهم في حالة من الإشفاق، الخوف المبني على علم، يعني ليس هناك أوهام في خوفهم! يعرفون مَن ربّ العالمين؟ يعرفون حقيقتهم فيُشفقوا أن يطيعوا، ويطيعوا وبعد ذلك تزلّ أقدامهم في فساد! يخافون من أنفسهم الّتي تتقلّب عليهم، أن تغلب أنفسهم عليهم، يخافون من وسواس الشّيطان، يخافون

---

[31]() المعارج: ٢٧.

أن يفعلوا فعلًا يُسخط الله، يعني أنت تكونين باذلة جهدك -أنا أريدك أن تتصوّري شيئًا مثل الطّواف، الحياة تشبه الطّواف- الآن أنت تطوفين، وقلبك معلّق بالله، وراجية أنّ كلّ قدم تضعينها تُوضع عنك خطيئة، وكلّ قدم ترفعينها تُرفع لكِ درجة، وأنتِ تمشين في الأشواط مركّزة، وبعد ذلك يأتي أحد يدفعك، فتغضبي غضبًا، يُخرجك عن هذا كلّه، ومن الممكن أن يكون الغضب أيضًا فيه شيء من الكِبْر! من الممكن أن تقولي ما لا يليق.

هذا المثال كأنّه الحياة. هل ترين هذا الموقف الّذي يصير؟ فهذا الموقف نحن نخاف منه! أنتِ تصوّري هذا الطّواف مثل الحياة، لا تضمنِين أن تنتهي منه بدون أن يحصل لكِ شيئ يؤذيكِ وتتصرّفِين بطريقة غير لائقة!

المثال مثل الحياة: أنت تشعرين أنّه ما بقي لك شيء! يعني الشّوط الأخير، وأنتِ محسنة، وجامعة قلبك، حين يُعتَدى عليكِ، وتتكلّمِين أو تفعلِي ما لا يليق؛ تخافين، ونحن لسنا في موقف أنّك تُعذرين أو لا تُعذرين؛ نحن في موقف أنّك تفكّرين أنّ هكذا الحياة! فنحن نطوف ونسعى في الحياة، ونحن خائفون فقط أن يأتينا في الشّوط الأخير شيء يستفزّنا، فيفسد علينا صفاء قلوبنا! يفسد علينا تركيزنا! يفسد علينا طريقنا إلى ربّنا!

ماذا نفعل؟ الإشفاق هو الحلّ. يعني أنت تبقين طوال الوقت خائفة، لست مطمئنّة، لا تقولي: (أنا قد وصلت لدرجة أنّني أركّز في الصّلاة! وصلت إلى درجة أنّني أجمع قلبي، وصلت لدرجة ما بقي على الطّواف إلّا الشّوط الأخير)! لا! لا! وإنّما تبقين مشفقة طوال حياتك.

الآن اخرجوا من الطّواف وفكّروا في المسألة من جهة الحياة: يبقى الإنسان يرى نفسه محسنًا، إلى أن ينسى أنّه ممكن في الشّوط الأخير يأتيه شيء يفتنه في دينه!

هذا يشبه حين تطوفين، وتأتين على الشّوط الأخير وما بقي بينك وبين العَلَمِ والإشارة إلّا بعض الخطوات، ويأتي أحد يتصرّف تصرّفًا غير مناسب، فتتكلّمي بطريقة غير مناسبة! يصير شيء غير مناسب يفسد عليكِ هذا الطّواف! نحن الآن ليس لنا علاقة بالمؤثّرات وإنّما المقصد أنّك ستبقين خائفة طوال الحياة، فهذه صفة هؤلاء: (وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ) يعني: خائفون خوفًا بسبب علمهم بربّهم، وعلمهم بأنفسهم، وعلمهم بالشّيطان:

1. يعرفون ربّنا.
2. يعرفون أنفسهم.
3. يعرفون الشّيطان.

4.يعرفون أنّه في آخر لحظة من الممكن أن يتصرّف الإنسان تصرّفًا غير لائق! من الممكن أن يُفتن فتنة تخرجه عن الاستقامة! من الممكن أن يُبتلى بأحد في حياته لم يكن موجودًا، ويُفتن به حبًّا، أو بُغضًا...

إذًا ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ سبب إشفاقهم علمهم بالله، بأنفسهم، وبالشّيطان. آية سورة المعارج، بيّنت هذا المعنى.

سنرى: هنا كيف يأتي الهلاك؟ «روي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنّه قال: الهلاك في اثنتين: القنوط والعُجب» يعني هذه الآية: ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ كأنّ لها طرفان عند النّاس:

الطّرف الأوّل: من كثرة الخوف والإشفاق وصل إلى حدّ القنوط! -والعياذ بالله!- خائف خوفًا سبّب له أن يكون قانطًا من رحمة الله! ما معنى: "قانطًا" من رحمة الله؟

القنوط، هو اليأس، هو الّذي مبدؤه الخوف، **لكن نريد أن نفهم**: ما هي فكرة اليأس أصلًا؟ لماذا تأتي؟ فكرة اليأس مبنيّة على شعور الإنسان أنّه لابدّ أن يكون كاملًا، يعني يستفتح الصّلاة، إذَا وجد نفسه في الوسط ناقصة صلاته؛ فإنّه ييأس من مغفرة الله! من رحمته! ومن أن يقبل الله منه عمله! وهذه المشاعر تنتشر على النّاس، بسبب أسلوبهم في التّفكير،

هم دائمًا يتصوّرون أنّه لابدّ أن تكون إنجازاتهم في الدّنيا كاملة! ودائمًا يُكلّمك عن: (أنّه إذا عمل أحدكم عملًا فليتقنه) يريدون الكمال! وهناك فرق كبير بين الإتقان والكمال: الإتقان، يعني: أنت تفعلين الّذي تستطيعين فعله بإتقان، لا تهملين؛ لأنك ستُحاسبين على قدرتك، **لكن ليس معناه**: أنّ الأعمال تكون كاملة! لا يستقيم هذا! **فهذا أصل الفكرة**: أنّه خائف من النّقص لدرجة أنّه يصل إلى اليأس!

سأضرب لكنّ مثالًا: وهذا المثال واقعي، هناك حالة واقعيّة من حالات اليأس -الله يحفظنا- الآن هي رتّبت لنفسها بأن تذهب إلى مكّة، رتّبت لنفسها بأن تُصلّى فجر الجمعة في الحرم، رتّبت لنفسها هذا التّرتيب؛ أفاقت من النّوم والنّاس قد أقاموا الصّلاة، يعني لن تستطيع أن تذهب إلى الصّلاة باختصار. حزنت كثيرًا، ووضعت رأسها ونامت. ما قامت للصّلاة! **لابدّ أن تتصوّروا**: ماذا يفعل اليأس في الإنسان؟!

كيف يصل إلى هذه الحالة -فالشخص لا يصل إلى هذه الحالة إلّا من سوابق فكريّة-؟ يضع لنفسه صورة-طبعًا هذه الحالة يأس متقدّم- أنّه لابدّ أن يكون هكذا، يبذل جهده من أجل أن يصل إليها. لا يصل إليها، فيتركها كلّها، ويعطي الصّورة ظهره.

وهذه الحالة من أخطر حالات اليأس**!** هي الّتي ستساوي بينه وبين الّذي لا يعمل شيئًا**!**

ولأجل ذلك قال ابن مسعود: «الهلاك»، **لابدّ أن تفهمن:** ما معنى «الهلاك»؟ الّتي هي تبدأ بسيطة: (أنّه أنا أريد أن أُكمل أعمالي، حريصة أن أُكمل أعمالي**!**)، وبعد ذلك تجد نفسها لا تستطيع فتقوم بترك كلّ المسألة**!** مبدأ من مبادئ هذه المسألة: الوسوسة. هذه المسألة تبدأ بالوسواس، تبدأ أنّها تُوسوس: (أنّها لا لم تُكمل وضوءها**!** ما أكملت الرّكعة**!** ما قرأت الفاتحة**!**)، إلى أن ينتهي بها الأمر فتترك الطّاعة والعبادة، وبهذا يكون الهلاك**!**

القنوط هنا ليس موضوعنا، فهو سيأتي بعد ذلك. **لكن المقصد**: أنّ **آية سورة المعارج**، لها طرفان:

الطّرف الأوّل: الإشفاق، صفة الكُمّل.

الطّرف الثّاني**:** لا تصلي في الإشفاق والخوف إلى اليأس**!** ولا تصلي في ترك أو ضعف الإشفاق والخوف إلى الطّرف الثّاني، الّذي هو **العُجْب!**

ونحن موضوعنا الطّرف الثّاني؛ الطّرف الأوّل واضح، ومن السّهل أن تفهميه؛ لأنّه خاف كثيرًا إلى درجة أنّه يئس من روح الله**!**

دعنا نرى: الطّرف الثّاني كيف وصل إلى **العُجْب**؟ الطّرف الثّاني وصل إلى **العُجْب** من جهة كونه ظنَ أنّ أفعاله هذه الّتي يقوم بها بحوله وقوّته، وبعد ذلك تجدينه يضع مقاييس لنفسه، ويظنّ أنّه وصل إليها:

مثلًا: يقول لنفسه: (طوال الشّهر ستصوم الإثنين والخميس) ويصوم الإثنين والخميس؛ (ستقوم اللّيل ولا تتأخّر، قبل الفجر بساعة)، ويقوم؛ وكلّ مرّة يقول لنفسه إنّه سيفعل شيئا، فيقوم بطاعته، ويفعل! وكلّ مرّة يشعر: (أنّه هو أحسن، وأفضل في طاعته، وأنّه قادر على أن يتحكّم في نفسه، ويقول لك: (إنّ الصّيام سهل عليّ! القيام سهل عليّ! الصّدقة سهلة عليّ!)! على أساس أنّه بحوله وقوّته! هذا يمشي وما عنده خوف أبدًا، أنّه في الشّوط الأخير يأتي الّذي يستفزّه، ويخرّج من قلبه أسوأ ما فيه! ما عنده خوف أبدًا أنّه ممكن في الشّوط الأخير، يأتيه ما يأتيه من الانشغال من الدّنيا، فيجد نفسه لا يُصلّي! ولا يصوم! ولا يصبح عابدًا! ولا راكعًا! ولا ساجدًا! ما عنده خوف، يقول: (أنا لا أفعل هكذا! أنا متربٍّ! أنا متديّن)! بهذه الطّريقة!

ولذلك كما ذكرنا الأسبوع الماضي: «لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[32]، على قدر الطّرفة أنا خائف لو اعتمدت على

[32]) المستدرك على الصحيحين (1958).

نفسي! وفي الرّواية الأخرى الّتي أخرجها الأمام أحمد، في "مسنده": «إن تكلني إلى نفسي؛ تكلني إلى ضعف؛ وعورة، وذنب؛ وخطيئة، وأنا لا أثق إلّا في رحمتك»؛ فهذا النّصّ واضح جدًّا فيه أنّك لا تثقين في نفسك! هذا ضدّ الإشفاق، **الّذي هو: العُجْب**، أنّ الإنسان يُعْجَب بنفسه، فيقول: (لا! لا! فقيام اللّيل هذه مهمّتي أنا أفهمها تمامًا! صلاة الضّحى موضوعي، حفظ القرآن تخصّصي)! وتجده فقط يسير في الحياة بهذه الطّريقة؛ بحيث أنّه لا يوجد إشفاق! لا يوجد خوف! **السّبب؟** عدم معرفته لا لله وعظمته! ولا معرفته بضعفه! ولا معرفته بحيل الشّيطان! لا يعرف هذا كلّه! لا يعرف أنّ الشّيطان يضع له شباكًا من نوع الإعانة على الطّاعة! يعني هذا الـمُعجَب عندما يبدأ يُعْجَب بنفسه، والإعجاب سيحُبط عمله؛ الشّيطان ماذا يفعل به؟ يقيمه للعبادة! لأنّ كلّ عبادة عند هذا الّذي يُفكّر بهذه الطّريقة، ستزيده إعجابًا بنفسه، ستزيد المرض فيه فيتركه! يُفلته!

فمعنى ذلك: (وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ) أن الإشفاق مبني على:

- العلم بالله وعظمته.
- والنّفس وضعفها.
- وبالشّيطان وعداوته.

وهناك طرفان حين يحصل الجهل:

هناك طرف اليأس: الّذي يكون لا يعرف أنّ ربّنا غفور رحيم، وأنّ ربّنا شكور غفور، يقبل من العبد العمل القليل، ويعطي عليه الأجر الكثير، ما يعرف عن ربّنا هذا، ولا يعرف عن حيل الشّيطان، ولا يعرف أنّه ضعيف، لابدّ أن يحصل منه تقصير، هذا كلّه لا يعرفه فييأس!

أو الثّاني الّذي يُعجَب بنفسه: لا يعرف عن ربّنا أنّه -سبحانه وتعالى- قويّ، عظيم، غنيّ، حميد -سبحانه وتعالى- ليس بحاجة إلى عبادة خلقه، وأنّه -سبحانه وتعالى- هو الّذي يعطي العبد الحول والقوّة على الطّاعة؛ **والأصل:** في طاعة العباد مع ربّهم العظيم: الذّلّ والانكسار، وليس **العُجْب والتّكبّر!** لا يعرف نفسه أنّه لو أراد الله ومنعه ما تمكن من العبادة، ولا يعرف حيلة الشّيطان أنّه يجعل الإنسان في عبادته بدلًا من أن يُعظّم الله، يُعظّم نفسه!

وهذا العصر الّذي نحن فيه هو عصر **العُجْب**؛ لأن النّاس طوال الوقت منتفخون! ويقال لهم: (أنت تقدر، وأنت تستطيع)! في شأن الدّنيا طبعًا وفي شأن الدّين، ويزيد على ذلك أنّ النّاس أصبحوا لا يرون أنفسهم بالله؛ بل يرون أنفسهم بأنفسهم! يعني بقوّتهم! لا يرون أنفسهم أنّهم يستمدّون القوّة من الله؛ يرون أنفسهم حتّى في الطّاعات أنّهم هم الّذين يأتون

بالقوّة! يعتقدون أنّ المطلوب منهم أن يطيعوا الله بقوّتهم! ولم يفهموا أنّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، لا تكون إلّا بـ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[33]، أنا لا أقدر أن أعبد الله إلّا بعون من الله، فصار الضّعف في الاستعانة بسبب ثقافة: (أنا موجود، أنا أستطيع، أنا أقدر)! فصار الاستغناء عن طلب الحول، والقوّة، والعون من الله، الاستغناء عن هذا بقوّتنا، بالإحساس أنّنا عندنا قوّة ذاتيّة!

وانتهينا أيضًا من القوّة الذّاتيّة وجاءتنا الطّاقة والاستمداد منها! فانتهى الأمر بأنّه ليس هناك استمداد من ربّ العالمين فإمّا من قوّتك الذّاتيّة! وإمّا من قوّة الكون المحيطة بك! ومن ثمّ حين ينهض من فراشه للقيام أو للصّلاة، يجد نفسه أنّه لابدّ أن يذكّر نفسه: (أنا قويّ)! بدلًا من أن يقول: (بسم الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله)!

على كلّ حال، الشّاهد الأكيد: على أنّ هذا كذب وهراء، ما ترونه في مجامع المسلمين، في مساجدهم، خاصّةً في الحرم المكّي والمدني -أقامه الله، وأبقاه مرفوعًا على راية التّوحيد، اللّهمّ آمين. الله يحفظ البلاد والعباد، ويردّ عنّا مكر الماكرين، وكيد الكائدين، اللّهمّ آمين- من أنّ عجوزًا منحني الظّهر واقف يُصلّي التّراويح، وصغارًا وشبابًا جالسين يتسلّون، أو أنّهم يأتون أحيانًا بكرسيّ يصلّون عليه؛ العجوز يطوف وهو

---

[33]() الفاتحة: ٥.

منحني الظّهر على قدميه، والصّغار الله أعلم كيف يفعلون؟!
هذا كلّه يدلّ على أنّ القوّة لا تعتقدي أنّها ببدنك؛ فإنّ الّذي يحملك في طاعة الله، هو ما في القلب من إيمان، وصدق وذلّ، وانكسار لربّ العالمين؛ هذا الّذي يحمل الإنسان على الحقيقة.

فالمقصد الآن: أنّ الثّقافات العامّة المحيطة بنا أهلكتنا من جهتين: -أنت لا تتصوّري: أنّ هذه الثّقافة العامّة لا تضرك في دينك؛ بل إنّها تضرّك في دينك! كلّ الثّقافات العامّة، من المفترض أن يكون منبعها منبع صافٍ؛ لأنّها ستؤثّر على تفكيرك!- **المهمّ أهلكتنا من طرفين:**

الطّرف الأوّل: من طرف أنّ النّاس تصوّروا أنّ كلّ شيء لابدّ أن يكون كاملًا! وإذَا ما كان كاملًا بهذه الطّريقة، يصير ليس له قيمة، فجاء اليأس!

الطّرف الثّاني: كلّ يوم النّاس يكذبون عليهم: (وكيف تخطّط لنفسك؟ وكيف تُتِمُّ أعمالك؟ واكتب! وافعل!)! وكلّ هذا حين تجدينه في الواقع عند أصحابه؛ ليس بهذه الصّورة الّتي تخيّلها الإنسان! ولأجل ذلك يأتي رمضان، والنّاس يقولون: (هذا جدول رمضان، سنفعل كذا، والسّاعة كذا)! ومعروف ماذا يصير بعد ذلك؟! من أوّل يوم ولا شيء من هذا

الكلام يصير! فالمسألة ليست من هنا؛ المسألة أنّك قبل أن يأتي رمضان، الزمي: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، «تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»[34].

ولكي تعرفوا هذا الشّيء جيّدًا، انظروا إلى السّورة، خصوصًا أنّنا في رمضان نهتمّ بختم القرآن -الله يوصلنا إليه ونحن سالمون في ديننا ودنيانا، اللّهمّ آمين- وهذا الّذي من المفترض أنّ نهتمّ به، وأنت جرّب نفسك الآن في الختمة الشّهريّة؛ السّورة الّتي حفظتها، وعرفتها، وتسمعها كثيرًا، حين تقرؤها؛ تكون يسيرة على لسانك، تقرؤها بسرعة، ليست السّرعة الّتي لا تدري معها ما تقول وإنّما تكون يسيرة على لسانك؛ وهذا من ميزة القرآن، أنّ الّذي يَكْثُرُ سماعك له، وقراءته، وأيضًا فهمه؛ يسهل على اللّسان نطقه، وقراءته، ويأخذ زمنًا أقلّ من غيره.

فالمشكلة: أنّنا ما تعرّفنا على الله في الرّخاء، يعني: طول السّنة تركنا أنفسنا، فلا نكون مع القرآن مباشرةً، ونكثر، ونقرأ، ونسمع، حتّى تذلّ به ألسنتنا، فحين نأتي لختمه في رمضان، ونريد ختمة بعد ختمة؛ فالّذي قمت به في الرّخاء ستجديه في الشّدّة. الشّدّة تعني: الوقت الضّيّق؛ والرّخاء:

---

[34]() المستدرك على الصحيحين (6365).

الوقت الواسع. يعني: أدمني، وأدمني سماع القرآن، ستجديه يسيرًا على اللّسان. لا بأن خطّطي! ونفّذي! وافعلي! وفي النّهاية تضعين قائمة وتجدين نفسك محبطة لأنّك لم تقدري على القيام بها!

هل تريدين أن تصلي وترتفعي في درجات العمل؟ سِيرِي كما سار السّلف الصالح؛ لأنّ العبادة بالذّات لها خصوصيّتها، وليس كتابتها في جداول وأرقام هي الّتي تأتي بها! إنّما قلب ذليل، كسير، وُقُوفٌ عند باب الله، اسألي الله الحول والقوّة، معناه: تنخلعي من حولك وقوّتك إلى حول الله وقوّته، لا أن تري نفسك أنّك قادرة على التّنفيذ!

وأنت تعرفين ماذا يحصل لنا؟! نحن لا نصل إلى اليوم العاشر إلّا -الله يعيننا فقط بالقوّة!- بالقوّة ندفع أنفسنا دفعًا في العاشر من رمضان وما بعده، وتأتي العشرة الأخيرة، يقاتل النّاس فيها أنفسهم قتالًا! وهذا كلّه لأنّه في الرّخاء لم يكن هناك قوّة!

ها نحن بيننا وبين رمضان وقت ليس بطويل، ما بقي هناك شيء كثير. وأنتنّ تعرفن كيف أنّ الأيام تنطوي علينا أسرع ما يكون!

من الباب الّذي تريدين أن تفتحيه على نفسك: أنّك تكثرين من قراءة القرآن، من سماعه على الأقلّ، من الدّعاء أن يبلّغنا ربّنا رمضان ونحن في أحسن حال.

ليست هذه الأعمال الّتي حين لا تستطيعين القيام بها يصيبك إحباط.

هل فهمتنّ ما هي المشكلة؟ هذه الثّقافة هي الّتي تأتي بالمشكلة. هناك الثّقافة الثّانية، هما ثقافتان:

الثّقافة الأولى: (أنّه لابدّ أن تصلي، لابدّ أن تكملي، وأنت لا تساوي شيئًا إذَا ما قمت بكلّ هذه الأعمال)! ويحشون جداول النّاس أعمالًا، وفي النهاية ولا شيء! وغالب النّاس إمّا أن يكونوا غير مهتمّين، وإمّا أن يأتيهم إحباط!

الثّقافة الثّانية: (أنّني أنا أقدر، أنا أستطيع، بقوّتي، بقدرتي، بتفكيري، بذكائي)! وكلّ شيء منسوب للإنسان! ويُنمّى الصّغير على ذلك، ويُربّى الصّغير على ذلك! وينفخونه، ينفخونه: (تستطيع، تقدر)! وأوّل ما يواجه أوّل مشكلة كأنّك رميته من علوّ، فيفقد كلّ قدراته الطّبيعيّة بسبب هذا التّفكير!

المهمّ: هاتان الثّقافتين هما الهلاك. قال ابن مسعود: «الهلاك في اثنتين القنوط والعُجْب». كيف نسير؟

□ نسير خائفين.

- نعرف ربّنا.
- ونعرف أنفسنا.
- ونعرف الشّيطان.

هذا هو السّير الصحيح، ليس هناك عُجْب، وليس هناك قنوط من رحمة الله. بمعنى: أنّ الإنسان ماذا سيحصل له؟ سيهلك يعني: ينحرف عن الصّراط المستقيم، يعني: يُشبه الكلام الأوّل، أنّه سيكون بعيدًا عن حسن الخاتمة، هذا المقصد. فلابدّ أن: نخوّف أنفسنا من اليأس و**العُجْب**، بأنّه سبب للهلاك، والبعد عن حسن الخاتمة.

(عنْ أبي بكرةَ أنَّ رجلًا ذكر عندَ النبي -صلى الله عليهِ وسلمَ- فأثنَى عليهِ رجُل خيرًا فقالَ النبي -صلى الله عليه وسلَّمَ-: «وَيحَكَ قطعتَ عنقَ صاحبكَ».)

التّعليق على الدّليل الثّاني (1)

دعينا نرى هذا الموقف، ونرى فيه الكلام الّذي سبق في مسألة **العُجب**.

هذا أبو بكرة -رضي الله عنه- يُحدّث عن رجل ذُكر عند النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فأتى الثّاني (ذكر) بمعنى: مُدح في دينه، في طاعته، في عبادته. صاحبه الآن أثنى عليه خيرًا، يعني: ليس كلمة، وليس جملة؛ إنّما كرّر هذا، أو أكثر

في المدح، فقال النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- للمادح: «وَيحَكَ قطعتَ عنقَ صاحبكَ».

المقصد: أنّ النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- يعاتب على هذا الفعل. ومعنى: قطع عنق الصّاحب، يعني: عرّضه للقتل والهلاك. بماذا؟ بالمدح، عرّضه للهلاك بسبب المدح؛ ولذلك عقد العلماء في كتبهم أبوابًا لِذَمِّ المدح، يعني مثلًا: في **"كتاب الأدب المفرد"**، للبخاري، في هذا باب كبير مليء بالأحاديث الصّحيحة عن ذمّ المدح، الّذي هو اليوم يُعتبر بضاعة النّاس! ما يجلس اثنان مع بعضهما ويكون الإيمان ناقصًا، أو ما يجتمع جماعة مع بعض ويكون الإيمان ناقصًا، ويحبّون مجاملة بعضهم فطوال الوقت يمدحون بعضهم! هذا كأنّه قطع عنق صاحبه! يقولها -صلّى الله عليه وسلّم- مرارًا!

ما هو الحلّ؟ نريد أن نقول أنّ هذا شخص جيّد، هذا شخص نافع، ممكن يتحمّل المسؤوليّة مثلًا. ماذا نفعل؟ هيّا أكملي الحديث:

(ثمَّ قال: «إنْ كان أحدكم مادحًا لا محَالَةَ فليقلْ: أحسبُهُ كذا وكذَا إن كانَ يرى أنَّهُ كذلِكَ وحسِيبهُ الله ولَا أُزكِّي على الله أحدًا».)

التّعليق على الدّليل الثّاني (2)

عندنا شرطان:

الشّرط الأوّل: «إنْ كان أحدكم مادحًا لا محَالةَ»

يعني: الموقف يحتاج أن تمدحه.

الشّرط الثّاني: «إن كانَ يرى أنَّهُ كذلِكَ» إن كانت هذه الصّفة فيه حقيقةً.

مع توفّر هذين الشّرطين، ماذا يقول؟ «أحسبُهُ كذا وكذَا»، يعني: أحسبه أمينًا، أحسبه صالحًا، يعني: في الصّفة الّتي تريدين مدحه فيها.

«ولَا أُزكِّي على الله أحدًا»، بمعنى: أنّ العبد يحسب حساب مدحه، وثنائه على النّاس، أنّه من باب تزكيتهم. (تزكيتهم)، يعني: يراه زاكي النّفس من داخله، يمدحه على أساس أنّه زاكي النّفس من داخل نفسه، فتقول: (لا! أنا ما أُزكّي على الله أحد)، الله أعلم بما في نفوسهم؛ ولذلك نهانا الله -عزّ وجلّ- عن ماذا؟ ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[35]. فأنت تَنْتَهِي عن أن تُزكي أحدًا، لا تُزكّي نفسك، يعني: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾. هنا ﴿أَنفُسَكُمۡ﴾ في الآية، يعني: كلّكم، بمعنى: (أنا ما أزكّي غيري، ولا أزكّي نفسي؛ إنّما أعتقد أن الله -عزّ وجلّ- أعلم بمن اتّقى).

---

[35]() النجم: ٣٢.

لو كنت محتاجًا لتزكيته، وأرى ذلك، ماذا أقول؟ أقول: (أنا أحسبه كذلك، لكن أنا لا أزكّى على الله أحدًا)، يعني: ما أتعدّى وأقول: (أنّي أنا أعلم بتقواه، بل الله أعلم بتقواه، فلا أُزكّي على الله أحدًا). يعني: هذا التّأديب الشّرعي في مسألة المدح. المدح هذا ليس حقًّا نفعله لكلّ أحد، وبعد ذلك نأتي نقول: (من أجل أن نحمّسه! من أجل تحفيزه!)؛ لأجل أنّه كلّ يوم يأتينا اسم جديد!

لا تُحمّسه، ولا تُحفّزه، ولا تفعل له شيًئا ما أتى في النّصوص، فقد نهى عنه النّصّ؛ إنّما ماذا ستفعل إذَا كنت تريد أن تحمّسه أو تحفّزه هو مباشرةً؟ تقول له: (إنّ ربّنا وهبك مواهب لا تهملها؛ فإنّك لو استعنت بربّنا سيزيدك ويعينك؛ إنّ ربّنا قريب مجيب، وأنت قد وُهبت من ربّ العالمين، هيّا انتفع من موهبتك، اشكر الله بأن تنتفع من موهبتك الّتي وهبها الله)، وليس: (أنت! أنت! أنت!)! لا! وإنّما: (الله أعطاك، اشكر ربّنا على العطيّة، الله ميّزك، اشكر ربّنا على هذا، انتفع بها ما ينفعك)، وهكذا!

سنرجع مرّة ثانية نقول: الثّقافات الّتي تُحيط بنا، والّتي أتت من عند أهل الدّنيا، أفسدت علينا الاستقامة على الدّين! وهذا الكلام يقوله النّاس، وهم يشعرون بأنفسهم أنّهم متديّنون! لكن من أجل أنّ الثّقافة العامّة، وأنّ هذا فقط من باب التّحفيز!

في دقيقتين أيضًا نقول النّصّ الّذي بعده، ونجعل العلاج للمرّة القادمة:

(ولأحمد[36] بسند جيّد عن الحارثِ بن معاوية أنّهُ قال لعمرَ -رضي الله عنه- إنهم كانوا يُراودونني[37] على القصَصِ، فقالَ: «أخشى أنْ تقصّ فترتفعَ عليهمْ في نفسِكَ، ثمَّ تَقصَّ فترتفعَ، حتّى يُخيّل إليكَ أنّك فوقهمْ في منزلةِ الثُّريَّا، فيضعكَ الله -عزّ وجلّ- تحتَ أقدامهِمْ يومَ القيامةِ بقدرِ ذلِكَ».)

التّعليق على الدّليل الثّالث (1)

هذا الحديث عند الأمام أحمد، في "مسنده". الحارث بن معاوية، هذا موقف بينه وبين عمر -رضي الله عنه-. الحارث بن معاوية، كان له لسانًا عَذْبًا في الوعظ، يعني: كان وعظه للنّاس ذَا أَثَرٍ.

والنّاس، الله -عزّ وجلّ- يعطيهم عطايا في ألسنتهم، وفي علمهم، يعني: يكونون كلّهم متعلّمين مثل بعض، لكن هناك أشخاصًا، الله أعطاهم قوّة تأثير مختلفة عن غيرهم؛ هذا ممّا يهب الله لخلقه، فلا أحد له شأن في ذلك، يعني: ليس هو من

---

[36]() أخرجه أحمد (1/18).
[37]() جاء في المسند أنهم أرادوني.

يدرّب نفسه! ولا المسألة متّصلة بقدراته الخاصّة الّتي ينمّيها! **إنّما في الأصل**: هذه بمثابة الموهبة.

المهمّ: أنّ الموقف الآن بين عمر -رضي الله عنه- وهذا الحارث ابن معاوية، سأل عمر: (إنهم كانوا يُراودونني على القصَصِ)، يُقْصَدُ: بالقصص في كلام السّلف، بمعنى: الوعظ. (يُراودونني على القصَصِ)، يعني: يقولون لي: (تعال، واجتمع بنا، وعظنا)، فأوّل جواب من عمر -طبعًا هنا القصّة مسردة باختصار- أوّل جواب: «فَقَالَ: مَا شِئْتَ»[38]، فهذا شأنك إن كنت تريد أن تعظهم، عظهم! فقال الحارث: «إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَنْتَهِيَ إِلَى قَوْلِكَ»[39]، يعني (لا، أنا أريد رأيك، يهمّني رأيك)، ففي نفس الحارث خوف؛ لأجل ذلك يسأله، ويكرّر عليه.

الشّاهد: أنّ عمر، صوّر له المسألة، صوّر له خوفه «أخشى أنْ تقصّ»، تجلس لهم وتعظهم، وتصير هذه المسألة دائمة. «فترتفعَ عليهمْ في نفسِكَ» لأجل أنّهم مجتمعون عليك، وكلّ يوم يجتمعون عليك أكثر، فماذا يحصل؟ ترى نفسك أحسن منهم!

«ثمَّ تَقصَّ فترتفعَ»، بمعنى: تستمرّ في هذه الحال، تقصّ عليهم، وتعظهم، فماذا تكون النّتيجة؟ أنّك ترتفع في نفسك،

---

[38]() أخرجه أحمد (111).

[39]() نفس التّخريج السّابق.

ترى نفسك أحسن منهم؛ لأنّ هذا سيبكي، وهذا سيتأثّر، وهذا سيستقيم، وهذا يحصل له كذا، فترى أثرك على النّاس، فتصدّق نفسك!

ستصدّق نفسك من جهتين:

الجهة الأولى: من جهة أنّك أكيد زاكي النّفس؛ لأجل ذلك تؤثّر على النّاس!

الجهة الثّانية: أنّك ترى أنّ تأثيرك يفوق تأثير غيرك، وأنّه لو أنت كنت غير موجود فإنّ هؤلاء مساكين لن يستقيموا!

هل عرفتم كيف يرتفع في نفس الإنسان هذا المعيار؟! «حتّى يُخيّل إليكَ أنّك فوقهمْ في منزلةِ الثُّريَّا» يعني: ليس فقط تعظهم، وتتركهم، وتنساهم؛ لا! إذَا مشيت في هذا الطّريق بطريقة غير صحيحة، ستكون المسألة بهذه الطّريقة، أنّك دائمًا ترى نفسك أحسن ممّن تكلّمه!

النّتيجة ماذا ستكون؟ النّتيجة هي الّتي خاف منها عمر! «فيضعكَ الله -عزّ وجلّ- تحتَ أقدامهِمْ يومَ القيامةِ بقدرِ ذلِكَ»؛ هو معلوم أنّ هذا الجزاء ظاهر في **الكِبْر**: أنّ المتكبّرين يأتون «يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ»[40]، يطؤهم النّاس

---

[40]) الزهد والرقائق لابن المبارك (1802).

بأقدامهم! فهو خاف عليه من **العُجْب** أن يرى نفسه أحسن منهم.

إن شاء الله المرّة القادمة نجيب على سؤال: والتّعليم، تعليم النّاس؟ هل يدخل فيه هذا الشّأن؟ والنّهي؟ سنرى المرّة القادمة.

جزاكنّ الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللّقاء الثّامن

٢٣ صفر 1440

تابع باب العُجْب وباب ذكر الرّياء والسّمعة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مُباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن نكون ممّن اجتمع حول كتابه، وسنّة نبيّه محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، فاجتمعت معه الملائكة، فكُتب عند ربّه من الذّاكرين، الشّاكرين، الّذين «يُقَالَ لَهُمْ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ»[41]، اللّهمّ آمين.

كنّا ولازلنا بفضل الله نتدارس موضوع **"الكبائر"**، وقد مرَّت معنا فائدة دراسة هذا الموضوع للمؤمنين، وكيف أنّه من تقوى الله، والإيمان بالله: التّعلّم عمّا يجب الحذر منه؛ لأنّ الله -عزّ وجلّ- قد وعد (ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ)[42]، وعدهم بوعودٌ عظيمة، **أهمّها**: أنّهم يدخلون جنّات تجرى من تحتها الأنهار؛ وفي هذا إشارة إلى أنّ المحسنين الّذين أحسنوا عرفوا ما يُرضي الله فاتّبعوه، وما يسخط الله

---

[41]() معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني(2950).

[42]() النجم: ٣٢.

فاجتنبوه، فهذا من حقوق الله علينا؛ من حقّ الله علينا أن نتعلّم ما يُرضيه فنتّبعه، ونتعلّم ما يُسخطه فنجتنبه.

فهذا الاجتماع من باب تعلّم ما يسخط الله لاجتنابه، من باب تعظيم الله، يعني: من عظَّم الله اعتنى بأن لا تزلّ قدمه في شيء يُسخط الله، **وزاد الأمر بيانًا لـمّا ابتدأنا ووجدنا**: أنّ القلوب الكاسبة مثل الجوارح الكاسبة؛ تكسب، فتأثم، فيُكتب عليها، ومن ثَمّ تُحاسب على ذلك.

والنّصوص كثيرة جدًّا في بيان هذا الأمر، ومنه ما تدارسنا فيما مضى أنّ ذرّة من كِبْر كما ورد في الحديث كيف أنّ ذرّة من **الكِبْر** لا يدخل الإنسان بسببها الجنّة؟ الحديث نصّه: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ»[43] فدلّ على أنّ ذرّة في القلب، وليست في الجوارح، تمنع من دخول الجنّة!

وقد تناقشنا وفهمنا: ماذا يُقصد بالمنع من دخول الجنّة؟ كيف أنّها تمنع ابتداء، وكيف إذَا هذه كانت ذرّة، فكيف لو كانت صخرة عظيمة من **الكِبْر** ماذا تفعل بصاحبها؟!

ودائمًا نذكّر أنفسنا: أنّ القلوب كاسبة، ولا يغرّك الشّيطان، وتفهم النّصوص بطريقة غير صحيحة؛ القلوب تكسب، كاسبة مثل: الجوارح تكسب.

---

[43]) أخرجه مسلم (91).

المشكلة أين؟ المشكلة أنّنا دائمًا ننظر للقلب على أنّ هناك خانتين متضادّتين ممّا يجعلنا نفكّر بطريقة خاطئة في النّهاية:

- من جهة نحن نعرف أنّ القلوب كاسبة، مثل هذه النّصوص كلّها.

- من جهة نحن نسمع: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»(44).

فإذًا: الخطأ، والنّسيان، وما استُكرهوا عليه؛ ثمّ يدخل في نفوسنا أنّه ممّا يُعفى لأمّتي فيه ما يكون في القلب، مثل: النّصّ الّذي فيه أنّه: «فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»(45) الآن إذَا همّ بحسنة وفعلها كُتبت له عشر حسنات، ومن همّ بسيّئة وفعلها كُتبت له سيّئة واحدة، وإذَا لم يفعلها كُتبت له حسنة. كيف يُفهم هذا الحديث؟ يُفهم لازم الحديث. بطريقة غير صحيحة! يعني نحن هكذا فهمنا من لازم الحديث. أنّ السّيّئة لا تُكتب عليك إلّا إذَا فعلتها؛ وعلى ذلك فهمنا: أنّ الفعل لابدّ أن يكون بالجوارح، بينما الفعل يمكن أن يكون

---

(44) أخرجه ابن ماجة (2049).

(45) أخرجه البخاري (6153).

بالقلب. «فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا» بحسنة «فَعَمِلَهَا» فعلها بقلبه أو بجوارحه، فمثلًا: التّكبّر والتّواضع؛ (تكبّر)، (تواضع)، وهذه عبارة عن ماذا؟ عن فعلين متضادّين.

أليس في الحديث: «مَنْ تَواضعَ لله درجةً رفعهُ الله بِها درجةً، حتَّى يجعَلهُ في أعلَى علّيّينَ. ومن تكبَّرَ على الله درجةً وضعهُ الله بها درجةً حتّى يجعلهُ في أسفلِ سَافِلينَ»[46]؟

«تكبَّرَ»، و «تَواضعَ»، هذا فعل القلب!

إذًا: ركّبيه على الحديث:

☐ «فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا»: همّ بالحسنة، يعني: التّواضع. «فَعَمِلَهَا»: تواضع. تواضع بقلبه قبل جوارحه، «كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ».

☐ «وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ» أنّه لو رأى فلانًا؛ لن يردّ عليه، ولن يكلّمه: (فلا هو من مقامي! ولا أنا من مقامه!) إذًا تكبّر بقلبه، وبعد ذلك أفرز هذا التّكبّر، أفرزه إمّا عمل آخر، أو فقط تكبّر بقلبه. ما هي النّتيجة؟ «كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

---

[46]() أخرجه أحمد (3/76).

□ لو قال: (نحن إخوة مسلمون، ولا يحقّ لي أن أشعر بهذا في قلبي حين أراه)، يكون «هَمَّ بِسَيِّئَةٍ» وبعد ذلك تركها «فَلَمْ يَعْمَلْهَا». تركها بسبب ماذا؟ في الحديث الآخر: «إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ»[47] بسبب الخوف منّي. «كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً».

فنحن المشكلة عندنا: أنّه (من فعل)، (من ترك)، **يعني**: كلّ التّركيز عندنا على أن يكون على الجوارح! بينما (من فعل يكون بقلبه أو بجوارحه، ولذلك:

⇐ هناك أفعال للقلوب.

⇐ وهناك أفعال للجوارح.

ولذا نقول: القلب يكسب، ماذا يعني يكسب؟ يفعل. أنتم حين تشرحون لأبنائكم في المدارس، أليس يوجد في كتاب التّوحيد (أفعال القلوب)؟ بلى: الخشية، الخوف، الرّجاء، المحبّة. فهذه كلّها اسمها: أفعال القلوب الحسنة.

وفي الكبائر ندرس أفعال القلوب السّيّئة. الّتي قيل فيها: «فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا» من هم بحسنة ففعلها؛ فالمشكلة هي: (همّ)، و(فعل)، كلّها في القلب، لأجل ذلك صارت المشكلة؛ يهمّ بقلبه، وبعد ذلك يفعل بقلبه، ومن الممكن أن يفعل بجوارحه، أو لا يفعل بجوارحه.

---

[47]() أخرجه مسلم (214).

على كلّ حال، ليس هذا هو البيان الوحيد، فلا زال هناك أدلّة كثيرة تزيد الأمر بيانًا، لكن لا بأس هكذا على الأقلّ اتّضحت لنا الصّورة، وما يُشكل عليكنّ، ليس هناك أبدًا تضادّ في النّصوص، فنحن نسير في طريق واحد.

وحين تلاحظِين: نصوص الكتاب يأتيكِ العَجَبُ من أنّ الأدلّة كلّها تجعلك تمشين في طريق واحد لو فهمتها جيّدًا:

فحين تقرئين مثلًا: في **سورة فصّلت**، أنّ أهل النّار -نعوذ بالله من النّار!- يشهد ﴿عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَـٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم﴾[48]. لا يوجد: (تشهد عليهم قلوبهم) لماذا؟ لأنّ ﴿سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَـٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم﴾ تشهد على قلوبهم، الآمرة، النّاهية، الفاعلة، المسخّرة، فصارت نقطة الانطلاق من القلب؛ ولذلك: «إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ»[49] ويوم القيامة البدن كلّه: السّمع، والبصر، والجلود. الّتي هي تعبّر عن كافّة البدن، تشهد على القلب.

فبهذا تتصوّرين: أنّ النّصوص كلّها تسير في نفس الطّريق. فإذا حصل لك إشكال بين لازم دليل، وبين دليل صريح:

---

[48]) فصلت: ٢٠.

[49]) أخرجه البخاري (52).

1.قدّمي دلالة الدّليل الصّحيح الصّريح.

2.وابحثِي عن لازم الدّليل الآخر.

أين قد يحصل إشكال؟

- «إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ»

- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»[50].

- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».

فكلّ هذه الأدلة تقول إنّ القلب هو الّذي يفعل! وبعد ذلك يأتي دليل يقول: «فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ»، «وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ»، وفعلها، أو لم يفعلها، فأنا أتصوّر: أنّ هذا الحديث يُضادّ الأحاديث الأخرى! لا! وإنّما هذا اللاّزم الّذي أنت استلزمتِه، ليس في مكانه!

لكن أنا أفترض: أنّه لم يشرح لي أحد القضيّة، ماذا أفعل؟ الصّريح الّذي يوجد فيه القلب، هو الّذي أعتبره هو الأساس؛ بينما الأدلّة الّتي لا يوجد فيها الصّريح؛ فهذه أنا أبحث عن ما يُفهّمني: ما وجهها مع الدّليل الأوّل؟ لكن افترضي: أنّه لم أجد

---

[50]() أخرجه مسلم (4779).

أحدًا، سأعتمد ما نسمّيه: **"المُحكم"**: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾؛ مثلها في كلام الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾. **اتركي**: ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾، الّذين آمنوا: ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾، ماذا يقولون؟ «آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[51]؛ لأنّ **هذه هي الطّريقة السّليمة**: أنّ المُحكم أجعله هو الأساس، والّذي يشتبه عليّ مع هذا الدّليل أبحث عمّا يدلّني عليه.

نحن هكذا كلّ مرّة -إن شاء الله- نزداد يقينًا أنّ قلوبنا **هي**: العنصر الرّئيس، الّذي يحرّكنا، والمشاعر الموجودة في القلوب هبة من الله، من أجل أن نسعى إلى الله ونحن في حالة من النّشاط؛ لأنّ حبّك، ورجاءك، وخوفك، لابدّ أن يحرّكوك؛ وكلّما تعلّمنا عن الكبائر، كلّما عالجنا القلب ليبقى صافيًا، مكانًا خالصًا لربّ العالمين.

وكلّما ازداد الإنسان عناية بقلبه، ازداد القلب لينًا؛ وكلّما غفل الإنسان عن قلبه، وقع القلب وسقط في الغفلة؛ وإذا وقع وسقط في الغفلة، وازدادت غفلته؛ لابدّ أن يدخل في القسوة؛ وإذَا دخل في القسوة مارس ما يُمارس من الكبائر، وليس هناك أدنى شعور، كالجزء الميّت من الإنسان ما يشعر! -فنعوذ بالله من القسوة! ونعوذ بالله من موت القلوب!- الله

---

[51]) آل عمران: ٧.

يحفظنا نحن وذرّيّاتنا من هذا البلاء العظيم، الله يُحيي قلوبنا، وقلوب ذرّيّاتنا، وقلوب المسلمين جميعًا، ويكشف الغُمّة عن هذه الأمّة.

ليس هناك إلّا موت القلب بكثرة الذّنوب واعتيادها، وضعف الإيمان، هو الصّورة الّتي ترينها اليوم! ما يردّ هذا إلى مقامه الصّحيح، إلّا **التّنبيه**: أنّ الدّنيا دار ممرّ، والآخرة دار مستقرّ، فلا تشغلي قلبك الضّعيف بالدّنيا؛ بحيث أنّه يصل إلى حدّ القسوة، وأنت لا تشعرين بنفسك! والّذي كنت بالأمس ترينه من الذّنوب عظيمًا، اليوم أصبحت ترينه هيّنًا عند النّاس! والشّيء الّذي كان بيننا وبينه مسافات طويلة؛ النّاس أسرعوا جريًا إليه! والسّبب: ضعف الإيمان، الغفلة عن القلب، قسوة القلب، حبّ الدّنيا، كلّ هذه أشياء تدهورت مع بعضها، فأوصلت النّاس إلى هذا المقام. **المهمّ**: فنحن حين نُشير إلى النّاس، لا نتكلّم عن النّاس؛ أهمّ شيء نتكلّم عن أنفسنا، ومن هم تحت أيدينا. نسأل الله أن يُصلحنا، ويُصلحهم، ويُصلح المسلمين جميعًا.

كنّا وصلنا في أمراض القلوب، أو الكبائر، إلى **كبيرة العُجْب، واتّفقنا**: أنّ هذه الكبيرة تخالف معرفة الإنسان نفسه، وصفاته، ومعرفة ربّه وعظمته، يعني: العُجْب يُخالف معرفة الإنسان نفسه، ويُخالف معرفة الإنسان لربّه؛ لأنّ من عرف

الله وعظمته، وعرف نفسه وضعفها، وعرف أنّ العون كلّه من عند ربّ العالمين، لن يُعْجَب أبدًا بطاعة ولا عبادة أبدًا! لو كان المقصود هنا: العُجْب بالطّاعات والعبادات.

نحن قد بدأنا بالكلام، واتّفقنا: أنّ العُجْب ممكن أن يكون بشأن دنيا، وممكن أن يكون بشأن دين؛ نحن تركنا تمامًا مناقشة **العُجْب** بشأن الدّنيا، وبدأنا بالكلام عن **العُجْب** بشأن الدّين، ووصلنا إلى كلام الحارثة بن معاوية، مع عمر رضي الله عنه.

(عن الحارثِ بن معاوية أنّهُ قال لعمرَ -رضي الله عنه- إنهم كانوا يُراودونني[52] على القصَصِ، فقالَ: «أخشى أنْ تقصّ فترتفعَ عليهمْ في نفسِكَ، ثمَّ تَقصَّ فترتفعَ، حتّى يُخيّل إليكَ أنّك فوقهمْ في منزلةِ الثُّريَّا، فيضعكَ الله -عزّ وجلّ- تحتَ أقدامهِمْ يومَ القيامةِ بقدرِ ذلِكَ»[53].)

التّعليق على الدّليل الرّابع

كنّا اتّفقنا أنّ الحارث بن معاوية يسأل عمر -رضي الله عنه- أنّ القوم رأوا فيه تأثيرًا في الوعظ. أقصّ، **بمعنى:** أعظ.

---

[52]) جاء في المسند أنهم أرادوني.

[53]) أخرجه أحمد (1/18).

نحن نتكلّم عن الجيل الأول، نحن الآن القَصَص عندنا، بمعنى: الحكاية، لكن القَصَص عندهم كانت بمعنى: الوعظ، يعني: يتكلّم كلامًا متتابعًا كالقصّة، يعظهم به، فكان يتكلّم وله أثر عليهم. فشاور عمر -رضي الله عنه- أنّه يُقصّ عليهم أو لا يقصّ؟ يعني: يعظ أو لا يعظ؟ ففي القصّة أنّه قال له: «مَا شِئْتَ»[54]، أنت وشأنك، أوّل الأمر، ثمّ أعاد عليه الحارث، فكان ردّ عمر -رضي الله عنه- يقول: «أَخشى أنْ تقصّ فترتفعَ عليهمْ في نفسِكَ».

وقد مرّ معنا المرّة الماضية أنّه يرتفع في نفسه لأنّه يرى أثره عليهم، يعظهم فيبكوا، يعظهم فيستقيموا، يعظهم ويُذكّرهم فيتذكّروا، فيصير عنده خلل من جهة شعوره بأنّه هو مؤثّر عليهم! وأنّهم بدونه لا تكون لهم هذه الاستقامة! وأيضًا حسن ظنّه في نفسه الآن! يعني هكذا معناه: أنّه سيشعر أنّه أكيد صادق لذلك كلامه يؤثّر فيهم!

وهذا من غَرَرِ الشّيطان! والإنسان يكون له تأثير لكن الشّيطان يُكبّر هذا التّأثير لدرجة أنّه يشعر: (أنّه لو لم يكن هو موجودًا في الحياة لانتهى الأمر)! يعني: لن يستقيم أحد! ولا أحد سيتديّن! ولا أحد سيفعل شيئًا! هذا معناه: أنّ الشّيطان يأتيك إلى مفاتحك، إذَا كنت أنت أصلًا من النّاس الّتي تغرّك

---

[54]() أخرجه أحمد (111).

نفسك، معجب بها أصلًا، أو أنّ هناك أصلًا بداية إعجاب؛ فالشّيطان ينفخ فيك! وإذَا ما كان شياطين الجنّ، فهناك شياطين الإنس! بل النّاس صاروا يدفعون المال؛ لأجل أن يذهبوا يمرضوا بهذا المرض ويخرجوا من عندهم! طوال الوقت يقول له: (أنت تقدر! أنت تستطيع! لا يوجد شيء صعب عليك! أخرج العملاق الّذي في داخلك)! إلى آخر هذا الكذب وبيع الكلام! كثير من النّاس يقولون: (أذهب إليه من أجل أن يُعالج التّردّد الّذي في نفسي)! فمن أجل أن أُنجز لابدّ أن يدفعني أحد!

هناك طريقة شرعيّة -غير أنّه الآن ليس وقت الكلام عنها- تدلّك كيف يثبت الإنسان على الطّريق ويستعين بربّ العالمين ويطلب منه الهداية؛ حتّى إذَا ما دخل أيّ مشروع يُكمله.

المهمّ فقط أنّنا نعلم: أنّ هناك أبوابًا لو فُتحت على النّفس، النّفس لا تتوقّف فيها! انظري: كيف أنّ عمر -رضي الله عنه- يقول له: «أخشى أنْ تقصّ فترتفعَ عليهمْ في نفسِكَ، ثمَّ تَقصَّ» المرّة القادمة «فترتفعَ»، وترتفع! كلّ مرّة في نفسك وليس هنا في الحقيقة! يعني: لا ترتفع عليهم في الأجور! لا! وإنّما تُعْجب في نفسك! قال: «حتّى يُخيّل إليكَ أنّك فوقهمْ في منزلةِ الثُّريّا»! كأنّهم هم مساكين في بداية الطّريق تحت في الأرض، وأنت في الثّريّا! وكلّ مرّة تكلّمهم؛ كلّ مرّة تُعْجب

بنفسك أكثر، والشّيطان يصوّر لك أنّه بدونك الحياة لا تكون! فخاف عليه من **العُجْب** وأنّ النّفس لا تقف عند حدّ! يعني: حين تُعْجَب فإنّها لا تقف عند حدّ، يكبر الشّأن يكبر، إلى أن يمرض الإنسان أمراضًا تفسد عليه عقله! **فالعُجْب** يبدأ بمرض قلبيّ، ومن الممكن إذَا ما لم يُعالَج؛ يصبح مرضا عقليًّا! -الله يحفظنا!- فيأتي أحد من الممكن أن يقول لك: (أنا المهديّ المنتظر)! فيبدأ بمرض العُجْب! وبعد ذلك ينتهي أنّه يمرض عقليًّا! وإنّ هذا كلام صحيح واقعيّ موجود، فالإنسان لا يسلم! والعُجْب إذَا فُتح على الإنسان، فالنّفس لا تقف عند حدّ.

انظري كيف أنّ عمر -رضي الله عنه- يقول: فترى نفسك «في منزلةِ الثُّريَّا» وهم في الأسفل! قال: «فيضعكَ الله -عزّ وجلّ- تحتَ أقدامهِمْ يومَ القيامةِ بقدرِ ذلِكَ»؛ وهذا مناسب للحديث السّابق: «من تكبَّرَ على الله درجةً وضعهُ الله بها درجةً حتّى يجعلهُ في أسفلِ سَافِلِينَ»؛ والنّصوص كثيرة في هذه المسألة.

لكن هو متى وصل أنّه يتكبّر؟ لـمّا بدأ بالعُجْب بنفسه.

تركنا سؤالًا مهمًّا المرّة الماضية وهو: **هل هذا يعني أنّنا نترك مجالس العلم؟** هل الحلّ: ترك التّعليم خوفًا من العُجْب، هل هذا كان قصد عمر -رضي الله عنه-؟

هناك فارقان مهمّان جدًّا، بين ما يتكلّم عنه عمر -رضي الله عنه- ، وبين الّذي يُراد في مجالس العلم:

الفرق الأوّل: الفرق بين الوعظ والعلم فرق كبير جدًّا! الوعظ يعتمد على ترقيق قلب السّامع، فيحتاج إلى جهد قويّ من خلال المتكلّم، **في مقابل**: أنّ العلم ليست هذه حالته، العلم ليس مثل الوعظ، صحيح أنّ العلم يتخلّله وعظًا، مقصده الأساسي، لكن ليس مثل الوعظ:

- **الوعظ مقصده**: رقّة قلوب السّامعين.
- **العلم مقصده**: بيان الحقائق في الكتاب وفي السّنّة.

مثلًا: يجلسون مجلسًا يتعلّمون فيه الطّهارة، يتعلّمون فيه الصّلاة، يتعلّمون فيه البيوع، يتعلّمون فيه أحاديث الآداب، يتعلّمون فيه عقيدتهم في أيّ باب من أبواب العقائد، هذا اسمه علم مبنيّ على الكتاب، وعلى السّنّة، لا يحتاج إلى مشاعر ولا أيّ شيء؛ وإنّما يحتاج أن يُفهِم السّامعين: (ما هو العلم؟ ما معنى هذا الدّليل؟)

هناك وعظ، لكن ليس مؤسّسًا على ترقيق قلوب السّامعين؛ فغالبًا أنّ المقبلين على مثل هذا النّوع يكونون قومًا ليسوا مثل المقبلين على موائد الوعظ؛ فالمقبلون على موائد الوعظ يكونون من عوام النّاس؛ بينما المقبلون على طلب العلم يكون فيهم شيء من الخصوصيّة. هذه الخصوصيّة تسبّب أنّ

السّامعين سيجتهدون من أجل أن يفهموا، وهو سيجتهد من أجل أن يعلّمهم، فليس هناك مجال لأن يرى نفسه، ولا هم يرون أنّه لا يوجد مثله.

هل هذا يعني أن أهل العلم لا يدخلهم شيء من العُجْب؟ يدخلهم لكن ليس مثل هذا النّوع، يعني مجالس العلم عادةً لا يكون فيها دموع وبكاء، وإحساس برقّة القلب؛ إنّما يكون فيها تركيز، وجمع ذهن، فشأنها مختلف قليلًا. هذا الاختلاف يسبّب أنّه كثيرًا ما يجد المعلّم نفسه مستصعبًا أن يُفَهِّمَ الطّلّاب المسألة، فيستعين بالله، ويسأل الله التّوفيق إلى أن يوصل المسألة لهم. أمّا الرّقّة -رقّة القلب- فبابها مختلف تمامًا.

الفرق الثّاني: المهمّ الّذي فيه الفرق بين الوعظ وبين العلم، أنّ مسائل الوعظ حين تُطرح، كثير من النّاس يكونون في أصل المسألة قلوبهم رقيقة، ويشعرون تجاه الواعظ أنّه قبلتهم الّذي يرقّق قلوبهم؛ لأنهم يحبّون أن يسمعوا ما يرقّق القلب؛ في مقابل: أنّ طلبة العلم عندهم من معلّميهم الكثير ما يجعلهم يتنقّلون بينهم، فعنده عالم يعلّمه الحديث، وعالم يعلّمه الفقه، وعالم يعلّمه التفسير؛ فقلبه موزّع بينهم.

أمّا في الوعظ فغالبًا الإنسان يتأثّر بأشخاص معيّنين فيبقى قلبه معلّقًا بهم، فالواعظ يراهم دائمًا مقبلين عليه، ودائمًا

يعودون له، فيشعر بأنّه "له شعبيّة**!" في مقابل**: أنّ هذا المعلّم الّذي يعلّم العلم، هم ينتقلون من عنده ويذهبون لغيره؛ فهذا يفكّ المشاعر ما بينه وبينهم.

الشّاهد من هذا الكلام: أنّ ما يُطَبَّقُ على الوعظ لا يطبّق على العلم؛ العلم شأنه مختلف، يعني نصيحة عمر -رضي الله عنه- الآن أن اترك عنك وعظ النّاس. هل هذا يعني أن نترك مجالس العلم؟ لا!

أوّلًا: العلم شيء مختلف، وقد عرفنا: أنّ الوعظ يعالج الإنسان فيه مشاعر النّاس، والعلم يعالج فيه فُهُومَهُمْ، فهناك فرق.

ثانيًا: الوعظ، النّاس يقبلون على شخص يؤثّر فيهم، وأمّا في العلم، فإنّهم يتنقّلون بين العلماء، فأيضًا ما يصير فيه ذاك الاتّصال الشّديد، يعني: يسمع من هذا العالم، ويسمع من هذا علمًا، فيختلف عليه.

السّؤال: والوعظ هل يُترك، هل يُترك أن تعظ النّاس وتُنَبِّهَهم، وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر؟ بناءً على هذا الكلام أنّه يسبّب العُجْب.

الجواب: إن صحّت نيّة المتكلّم، وانتفع بقدرته في الأوقات المناسبة، بحيث أنّها لا تصبح عادةً له؛ فهذا -إن شاء الله- لا

يكون فيه بأس، تصحّ نيّته، يعني يبذل جهده في تصحيح نيّته، ولا يجعل المسألة بضاعة!

وأنتنّ ترين النّاس أصبحوا يجعلون الوعظ بضاعة! يخرجون في الإعلام، ويصير لهم جمهور، ويؤثّرون على النّاس، ويبكون، ويبذلون جهودهم أن يحصل منهم هذا لأنّ النّاس يتأثّرون بهم! فصار الوعظ بمثابة البضاعة الّتي يقبل النّاس عليها!

فإذًا: يعظ بالقدر المناسب، وفي الوقت المناسب، وبدون أن يكون الوعظ مهنة! وبذلك فهمنا كلام عمر -رضي الله عنه- وعرفنا أنّ له حيثيّاته الخاصّة.

دعنا نصل الآن إلى ختام هذا الباب، حديث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- الّذي أخرجه البيهقي.

(وللبيهقي عن أنسٍ -رضي الله عنه- مرفوعًا: «لوْ لَمْ تذنبوا لخِفتُ عليكُمْ ما هُو أشدُّ مِنْ ذلكَ -العُجْبُ-».)

التّعليق على الدّليل الخامس

هذا الحديث فيه دلالة على العلاج الآن: **"العلاج من العُجْب"**.

من خلال هذا الحديث، وما مرّ، **سنقول:** هناك ثلاثة أمور عليك أن تتذكّريها، إذَا دخل إلى نفسك شيء من **العُجْب**.

وهكذا نقرّر أنّ النّفس من الممكن أن يحصل فيها **العُجْب**، مهما كانت تقيّة، ومهما كان فيها تقوى وخوف من ربّ العالمين، هذا المرض لابدّ أن يقع بصورة أو بأخرى.

فقبل أن نتكلّم عن العلاج؛ لابدّ أن نتكلّم، ونتّفق، ونؤكّد: أنّه لا تُبرئ نفسك من هذا المرض، من مرض العُجْب!

علاج كبيرة العُجْب

وما العلاج؟ كلّما خطر على قلبك: (أنّك مُصلّية، صائمة، عابدة، أحسن من غيرك، مستقيمة، ثابتة في زمن الفتن، أنت حجابك كذا، وغيرك تغيّر)! كلّ مرّة تجدين نفسك عندك مشاعر أنّك أحسن من غيرك، ذكّري نفسك بثلاثة أمور، اقلبي الصّفحة الثّانية، وانظري إلى الجزء الثّاني من نفسك!

الأمر الأوّل: أوّل أمر نُذَكّر أنفسنا بالذّنوب، وهذا من الحديث الواضح، أنّه: «لوْ لَمْ تذنبوا لخِفتُ عليكُمْ ما هُو أشدُّ مِنْ ذلكَ -العُجْبُ-»؛ فالإنسان حين يرى نفسه شيئًا في طاعة الله؛ فإنّه لا يحتاج واعظًا له من الخارج، ولا يحتاج أحدًا ينصحه؛ وإنّما هو يفكّر فقط بمفرده، ويقول لنفسه: (في هذا العمر، وفي هذا التّاريخ من حياتك، كم اقترفت في حقّ الله من ذنوبٍ ومعاصٍ وكبائر ومع ذلك عاملك الله بالسّتر؟!) فيبقى الإنسان يذكّر نفسه بما اقترف في حقّ الله، وهذا

يجعل العبد في حالة من استصغار طاعته، وإحساسه: (أنّه فقط يا ربّ اغفر لي!) لكيلا يقول: (أنا طائع! أنا عابد! وأنا أحسن من غيري! وأنا في الفتن ثبتّ)!

الأمر الثّاني: أيضًا يذكّر نفسه بنِعَم الله، حفظ الله، رعاية الله، إعانة الله. من أجل أن نعالج **العُجْب**، نذكّر أنفسنا: (أنّ الطّاعة أصلًا ما حصلت إلّا من فضل الله، من نعمة الله، من إعانة الله)؛ فعلاج **العُجْب** تذكّر الذّنب، وتذكّر النِّعَم: النِّعَم عمومًا، والنّعم الدّينيّة خصوصًا:

⇐ **النّعم عمومًا:** من أجل أن تعالج أيّ نوع من **العُجْب**، فالّذي يُعْجَبُ بماله، والّذي يُعْجَبُ بجماله، والّذي يُعْجَبُ بذوقه؛ بينما هي في النّهاية كلّها نعمة من عند الله.

⇐ **وفي النّعم الدّينيّة خاصّةً:** تعرفين أنّه لولا الإعانة ما كانت العبادة، يعني أنت ما عبدت إلّا لأنّ الله أعانك.

الأمر الثّالث: يتذكّر الإنسان حال السّلف الصّالح، وما كانوا عليه من طاعة وعبادة، وبعد ذلك يقيس نفسه بهم، يقيس نفسه هو بطاعة السّلف الصّالح، ويرى بعد ذلك أين مكانه هو؟ وكلّ جيل حين يقارن

نفسه بالأولياء والصّالحين السّابقين يعرف بالضّبط هو من؟ ويعرف كيف أنّ القوم قد بُورك لهم في أعمالهم، وأعمارهم، ورفعهم الله حتّى تُركت آثارهم كلّ هذه المئات من السّنين! بيننا وبين الأمام أحمد أكثر من ألف ومائتين سنة! ومع ذلك مذكور كيف كان قيامه في اللّيل؟! كيف كان صيامه؟! كيف كان في وقت المحنة يعبد الله؟! كيف لـمّا ضُرب كلّ ذاك الضّرب، كان يُصلّي على كلّ ضربة ركعتين أمامهم؟! كلّ هذا محفوظ من ذاك الزّمان إلى هذا الزّمان! قوم كانوا أولياء لله، فأبقى الله أعمالهم نبراسًا لأهل الطّاعة، وأولى من الأمام أحمد أن تسمعِي عن الصّحابة الكرام، وموقفهم، وأحوالهم.

المهمّ: فإنّ غيابنا عن سِيَرِ الكُمَّل من صحابة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ومَنْ بعدهم، جعلنا نرى أنفسنا شيئًا! وأنت اقرئي قليلًا فقط في السّيرة للصّحابة، والتّابعين، ومن تبعهم؛ هكذا سنضع أنفسنا في المكان المناسب!

ولذا حين يكون ربّنا قد فتح لأحد في العلم والذّكاء والفهم، ويقرأ كتابًا من هنا، وكتابًا من هنا، ويجد نفسه صغيرًا في السّن وفاهمًا، فيرى نفسه شيئًا! نقول له: هيّا

قارن نفسك بالبخاري وأحواله! وانظر من أنت؟! وانظر إلى رحلته الطّويلة وكيف كان يحفظ وكيف عُرض عليه اختبار الأسانيد...انظر إلى سيرتهم، ستعرف نفسك!

إذًا ما هو المطلوب؟ كلّما أتى الشّيطان وجعلك تنظرين إلى عبادتك لله أنّها شيء! فإنّك مباشرة ستعالجينها بتذكّر الثّلاثة:

1. تذكّري الذّنوب.
2. وتذكّري النِّعَم.
3. وتذكّري سِيَرَ من سَلَف، من أطاع الله، وأحسن في طاعته، فرفعه الله -عزّ وجلّ- وأعزّه.

بذلك نكون باختصار انتهينا من **"باب العُجْب"**.

«باب ذكر الرّياء والسّمعة»

(باب ذكر الرّياء والسّمعة: وقول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[55].

عن جُندبِ بن عبد الله -رضي الله عنه- قالَ: قالَ رسولُ الله -صلّى الله عليه وسلّم- «مَنْ سمَّعَ سمَّعَ الله بِهِ، ومن

---

[55]) الكهف: ١١٠.

يُرائِي يُرائِي الله به»[56]. (قيل معنى من سمَّعَ سمعَ الله بِهِ أي فضحهُ يومَ القيامةِ، ومعنَى مَنْ يُرائِي: أي مَنْ أظهَرَ العمَلَ الصّالحَ للنَّاس ليعظَّمَ عندهم «يُرَائِي بِهِ الله» قيلَ معْنَاهُ إظهارُ سريرتِهِ للنّاس).

ولهمَا عنْ عمرَ -رضي الله عنه- قالَ: قالَ رسولُ الله -صلّى الله عليه وسلّم- «إنمَا الأعمالُ بالنياتِ وإنمَا لكُلِّ مرئ ما نوى».

ولمسلمٍ[57] عنْ أبي هريرةَ -رضي الله عنه- مرفوعًا: «إنَّ أولَ الناس يقضى عليهِ يومَ القيامةِ ثلاثة، رجل استشهدَ في سَبيلِ الله، فأُتي به فعرَّفهُ نعمتهُ فعرفها قال: فمَا عمِلتَ فيها؟ قالَ: قاتلتُ في سبيلكَ حتَّى قتلتُ قال: له كذبتَ، ولكنك قاتلتَ ليقالَ هو جريءٌ فقد قيل، ثم أُمرَ به فسحبَ على وجههِ حتَّى أُلقي في النَّارِ».

وللتّرمذي[58] فيه أنَّ معاوية -رضي الله عنه- لـمّا سَمِعهُ بكَى وتلا قولَهُ تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَـٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾[59].

التّعليق على الدّليل الأوّل(1)

---

[56]() أخرجه البخاري (1).
[57]() أخرجه مسلم (1905).
[58]() أخرجه الترمذي (2382).
[59]() هود: ١٥.

بسم الله نستفتح **"باب ذكر الرّياء والسّمعة"**، وهو أيضًا من عظيم أمراض القلوب!

بدأ الباب كالعادة بآية من كتاب الله تدلّ على المعنى المقصود، والآية الّتي يوردها في الباب من الممكن أن تدلّ على المعنى -تدلّ على الرّياء والسّمعة- أو تدلّ على عكسه، وهو: الإخلاص. يعني: لو نظرنا الآن في الباب السّابق: "باب العُجْب"؛ الآية الّتي أوردها بَيَّنَ فيها ماذا؟

الآن ما هو العُجْب؟ العُجْب، معناه: أنّ الإنسان يرى نفسه أحسن من غيره في العبادة، يعني: يرى نفسه مقبولًا، وعبادته خيرًا من عبادة غيره.

والآية الّتي أوردها -آية المعارج- بالعكس تتكلّم حول أنّ المؤمن يجب أن يكون في حال الإشفاق.

إذًا: الآية الأولى الّتي في **كبيرة العُجْب**، دلّت على أنّ المؤمن يجب أن يكون في حال إشفاق.

دعنا نرى: الآية الأولى في "باب ذكر الرّياء والسّمعة" الّتي هي: آية سورة الكهف: (فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا)، الكلام عن من الآن؟ الكلام عن أيّ حال؟ أمام **الرّياء والسّمعة** هناك الإخلاص، يعني: الآية تكلّمك عن المخلصين.

نأتي إلى الأفعال التي في الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، دعنا نبدأ بـــ: ﴿يَرۡجُواْ﴾ ما معنى أنّه ﴿يَرۡجُواْ﴾؟ يأمل ثواب الله، ابتداءً من جنّات النّعيم، وانتهاءً برؤية وجهه الكريم سبحانه وتعالى.

لقاء ربّ العالمين، بمعنى: رؤية وجهه الكريم يوم القيامة، والمقصود هنا: رؤية الرّضا من ربّ العالمين، يعني: من كان يرجو لقاء ربّه وهو راض عنه؛ الّذي يتأمّل هذا، وهذا هو الّذي بين عينيه دائمًا، وهذا الّذي يفكّر فيه دائمًا، بحيث أنّه يكون مسيطرًا عليه في التّفكير. ما هو المطلوب منه؟ يعمل عملًا فيه شرطين؛ **فأنت فكّري دائمًا**: في الرّجاء الموجود في القلب هنا؛ لأنه كأنّ هذا الشّرط يأتي لك بالنّتيجة مباشرةً؛ إذَا كان الإنسان شاغله موعد اللّقاء مع ربّه؛ فإنّ الإخلاص سيأتي مباشرةً؛ وإذَا كان شاغله مكانه عند الخلق؛ الإخلاص سيبقى ضعيفًا، ضعيفًا على قدر ذكراه وغفلته، إلى أن ينتهي الإنسان! مثل آخر آية استشهد بها: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾. يعني الآن انظري: كيف هو أوّل الباب وآخر الباب؟ النّاس بين هذين المرتبتين في العمل، بين هذين الاتّجاهين في العمل، بين شخص يرجو لقاء ربّه، يفكّر في أنّه يلقى الله وهو عنه راضٍ، يفكّر في الموقف الّذي يرى فيه ربّنا.

وهناك أناس يعملون الأعمال، لكن ماذا يريدون؟! كما في آخر نصّ، الّذي هو آية سورة هود، في الصّفحة الثّانية: (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا) يريد مكانته في (ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا)! يعمل الأعمال الصّالحة من أجل أن يصير له مكانًا في الدّنيا!

فالنّاس بين هذين الرّجاءين:

الأوّل: إمّا أنّه يفكّر في كلّ عمل يعمله: (لـمّا ألقى ربّنا! لـمّا ألقى ربّنا! من أجل أن ألقى الله وهو عنِّي راضٍ).

والثّاني: من أجل هنا، من أجل الدّنيا.

الآن (فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ)، حقًّا في قلبه هذا الرّجاء، ماذا يفعل؟ هناك شرطان:

الشّرط الأوّل: (فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا).

الشّرط الثّاني: (وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا).

من الّذي يقول عن العمل إنّه صالح؟ من يقول هذا العمل يصلح أن تعمله من أجل أن تجاور ربّك؟ لابدّ أن يكون ربّ العالمين، ربّنا هو الّذي يقول لنا: (هذا العمل لو عملته تتقرّب إليّ به)؛ ولذلك أرسل الرّسل. **إذًا**: أنت لا تعرفِين أنّ هذا عمل يصلح للقُربى أو لا يصلح، إلّا عن طريق الرّسول.

إذًا: ما هو الشّرط الأوّل (فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا)؟ يعني: الـمُتابعة؛ العمل الصّالح لا يكون صالحًا إلّا إذَا أخبر الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- أنّ هذا صالح، أنّ هذا يُصلحك، أنّ هذا يوصلك إلى ربّ العالمين.

النّاس يعملون أعمالًا صالحة، لكن دعونا نمرّ سريعًا في حديث أبو هريرة الّذي مرّ علينا في مسلم، أخبرنني: الثّلاثة، هل عملوا أعمالًا صالحة أو لم يعملوا أعمالًا صالحة؟ عملوا أعمالًا صالحة:

الأول: جاهد في سبيل الله.

الثّاني: حفظ القرآن.

الثّالث: تصدّق.

الثّلاثة فعلوا أفعالًا صالحة، أرشد إليها الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-:

- «ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ»[60].
- العلم أفضل عمل بعد الفرائض.
- الصّدقة من أعظم ما يتقرّب به العبد إلى ربّه.

الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- قال لنا هذا الكلام العظيم.

---

[60]) أخرجه أحمد (21574).

ومع ذلك فهم أوّل من تُسعّر بهم النّار! ماذا يفقدون؟!

الشّقّ الثّاني: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾.

معناها: هذه (لَا)، لا ناهية. **ومعناه:** أنّه انتهى عن أن يجعل في وقت العبادة والطّاعة أحدًا مع الله، يلتفت إلى رضاه؛ لا يلتفت إلى رضا أحدٍ أبدًا مع الله، وخاصّةً وقت الطّاعة والعبادة، من أن نوى العبادة، وأرادها وقصدها، إلى أن ينتهي منها، وهو لا يفكّر إلّا: (أرجو حين ألقى الله أن أجد هذا العمل) ولذَا فإنّك تجدِين صفة هذا العبد -وهذا شيء مهمّ جدًّا أن نفهمه في الإخلاص- كثير المناجاة لربّ العالمين، الآن يريد أن يتصدّق بريال واحد، هو لا يفكّر هل هو ريال؟ أو ألف ريال؟ وإنّما هو يفكّر في شيء واحد مهمّ: (أنّ هذا الرّيال يوم القيامة، لـمّا يلقى ربّه يكون ظُلَّةً له؛ لأنّ «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ»[61] يوم القيامة)؛ يفكّر: (أنّ هذا الرّيال كشقّ التّمرة[62] ستكون له حجابًا من النّار)، يعني ما الّذي يشغله وقتما يعطي الرّيال؟ أنّه: حين ألقاك كيف ستعطيني؟ أنا أحتسبه عندك، احسبها لي، اجعلها لي، يعني لـمّا ألقاك أعطني أثرها؛ هذه هي المناجاة في الإخلاص؛ يناجي ربّه أنّه: (أنا أفعل هنا من أجل أن تعطيني حين ألقاك، من أجل أن تؤويني، تكفيني، تجعلني بعيدًا عن كذا، وقريبًا من كذا)؛

---

[61]) أخرجه ابن خزيمة (2235).

[62]) أخرجه مسلم (1763): «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

فمن أجل ذلك الإخلاص لا يتحمّل أن يكون الإنسان ضعيفًا في معرفة اليوم الآخر! يعني يضعف الإخلاص حين تضعف معرفة الله، ومعرفة اليوم الآخر.

متى يقوى الإخلاص؟ حين يعرف الإنسان مَن ربّ العالمين؟ فيناجيه، ويعرف ما معنى أن يلقاه؟ وفي هذا الموقف العظيم كيف يكون النّاس؟ وكيف يكون النّاس في كذا وكذا من الأحوال؟ والمتصدّق يكون في كذا؟ المستغفر يكون في كذا؟ المصلّي يكون في كذا؟ قائم اللّيل يكون في كذا؟ فيفهم أحوال هؤلاء يوم يلقون ربّهم، فيحتسبها على الله.

فلا يخطو خطوة إلّا وهو يناجي ربّه بقلبه: (أنّي أنا أفعلها من أجلك، لا أريد ثناء النّاس، واقبلها منّي، واحسبها لي، وانفعني بها حين ألقاك)؛ هذا ليس كلامًا يُقال هكذا جملةً، جملة! لا! وإنّما هذه طيلة الوقت مُناجاة، طيلة ما يعمل وهو يناجي ربّه: (أنّني أنا قمت اللّيل من نعمتك، وفضلك، لك الحمد أنّك أعنتني على القيام، يسّرها، واقبلها، واجعل الصّلاة في الظّلمة نورًا في القبر، نورًا حين يُطفأ نور المنافقين، نورًا حين يقول المؤمنون: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[63]، فهو يفكّر في أحوال يوم القيامة، ويفكّر في أحواله، ويناجي ربّه، أنّه: (أنت أعنت، أنت أعطيت، اقبل

---

[63]) التحريم: ٨.

كذا وكذا)؛ فهذه المناجاة إنّما هي روح الإخلاص، أي أنّ الإنسان يكون مخلصًا حين يجد نفسه وقتما يقوم بالعمل لا يفكّر إلّا في الله، ولا يطلب إلّا الله، ولا يريد أن يراه إلّا الله، ولا يريد أن يُثني عليه أحد إلّا الله؛ وإنّ هذا هو قلب الإخلاص الآن: أنت مشغول بثناء الله، يزعجك ثناء النّاس.

أحيانًا يأتي ثناء النّاس! وأنت لا تقصدينه، ولكن أتى! حين يأتي ثناء النّاس لابدّ أن يأتيك الخوف، وتقولي لربّ العالمين -تناجيه-: (أنّه ليس هذا الّذي أريده! ولا تجعل ثناءهم هو نهاية العمل!) **يعني**: الآن أنت تبذلين، وتتعلّمين، وتُعلّمين! تتعلّم وتتعلّم وبعد ذلك تذهبين تعلّمين النّاس الحقّ والدّين. وبينما أنت خارجة -مثلًا- من المحاضرة الفلانيّة، فيقدّمون لك شهادة تقدير، أنّك علّمتهم! فتنظرين إلى شهادة التّقدير، وتقولين: (مصيبة لو كان نهاية هذا الأمر هذه الشّهادة! أنا لا أريد شهادتهم! وإنّما أريد أن تشهد لي، أن تجعلها لي يوم القيامة، وليس هذه الورقة الّتي أنا أريدها!) فتنظرين فيها وأنت خائفة أن يكون هذا هو نهاية الّذي لك!

أو مثلًا: يجتمعون بك، وبعد أن تحفظي القرآن، يُقولون لك: (الآن الحفلة!) ويأتون بالنّاس والجمهور، ويقولون: (هذه فعلت! وفعلت! وفعلت!) فبعد هذا كلّه يكون هذا هو نهاية الّذي لك! فهذا هو الّذي يخيف المؤمن! انظري: ﴿وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا)، (أَحَدًا)، نكرة، **يعني:** ولا أحدا! ولا شيء! وطيلة الوقت تجده خائفًا أن يلتفت قلبه لأحد غير الله!

وهنا هناك شيء مهمّ: أنّ الإنسان حين يبدأ في جمع قلبه على ربّه، ويناجي ربّه جيّدًا، طبعًا الشّيطان يجدها فرصة له، فيدخل عليه بالوساوس! ويقول له: (أنت في هذا الفعل راءيت! وأنت بهذا الفعل قصدت النّاس! وأنت بهذا الفعل سمّعت النّاس!) طبعًا نحن سوف نتكلّم أكثر عن **الرّياء والسّمعة**، لكن قبل أن نغلق لقاءنا اليوم، لابدّ أن نحذّر أنّه في كلّ مرّة يستقيم الإنسان في عبادة قلبيّة، فإنّ الشّيطان لابدّ أن يستخدمه فيها! فيأتي الشّيطان ماذا يفعل لك؟ يقول لك كذا وكذا، يقول لك: (أنت مُراءٍ دائمًا)، إلى درجة أنّه يدفع الإنسان لترك العبادة! وهذه من الخطايا أن يترك الإنسان العبادة بسبب خوفه من **الرّياء**!

وما الحلّ؟ الحلّ: ناجي ربّك، ناجيه أن يُنجّيك من **الرّياء**، أنّه إذَا حصل رياء أن يشفيك منه، أنّه إذَا حصل رياء يغفر لك إيّاه، أنّه: (يا ربّ طهّر قلبي وأعمالي)، المهمّ لا يغلبك الشّيطان على إيمانك! **هذا هو المهمّ:** لا يغلبك الشّيطان على العمل الصّالح! ولذلك من عرف الله، وعرف عظمته، وعرف قُربه -سبحانه وتعالى- ما كفّ قلبه عن مناجاته! ما يكُفّ القلب عن مناجاة الله: (أنّه ارحمني، أعطيني، لا تجعل

عطيّتك كلام النّاس، وثناءهم عليّ، لا تجعل الشّيطان يتسلّط عليّ)، هذا حين يميل قلبك مثلًا: إلى الرّياء، استعيذي بالله من الشّيطان الرّجيم، واطلبي منه الحماية، اطلبي منه الرّعاية، اطلبي منه قبول العمل، اطلبي منه تطهير العمل؛ نحن بالله ولسنا بشيء آخر، العون كلّه من الله؛ فحين يهجم علينا الشّيطان ما لنا ملجأ إلّا ربّ العالمين، وحين نقوم بالعمل الصالح لا نريد إلّا وجهه؛ وهذا كلّه يعبّر عنه شيء واحد: كثرة مناجاة الله بما يليق بأسمائه، وصفاته، وأفعاله سبحانه وتعالى.

على كلّ حال هذا كلام مُجمل عن الباب، وإن شاء الله نكمل اللقاء القادم.

جزاكنّ الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللّقاء التّاسع

7 ربيع الأوّل 1440

تابع باب ذكر الرّياء والسّمعة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعل هذه السّاعة في ميزاننا، وأن نجدها ضياء ونورًا حين نلقاه، اللّهمّ آمين.

كنّا بفضل الله فيما مضى نتكلّم عن الكبائر، ووصلنا للكلام عن كبيرة **"الرّياء والسّمعة"**؛ وما أخطرها من كبيرة! وخطرها يكمن في كونها:

- تبطل الأعمال إن سيطرت على عمل الإنسان!
- وإن دخلت في جزء من عمل الإنسان أذهبت ثوابه، وألحقت العمل الصّالح بالعمل السّيّئ، فأصبح بدلًا من أن يأخذ الإنسان الأجر على هذا العمل، يصبح العمل وزرًا على صاحبه.

فما أعظمها من كبيرة تفسد حياة الإنسان! وخطرها يأتي من جهات كثيرة:

⇐ يأتي خطرها من جهة ما ذكرنا أوّلًا هنا في الكلام حول ما يترتّب عليها من جهة الإثم.

⇐ ويأتي خطرها أيضًا من جهة الخفاء! خفيّة، فهذه الكبيرة يدخل فيها الإنسان وهو لا يشعر بها، فيأتي خطرها من هنا، أنّها تكون خفيّة.

⇐ وقد يُلَبِّسُ الشّيطان أحيانًا على الإنسان، فيترك الأعمال الصّالحة خوفًا منها فيأتي الخطر الثّالث.

فإذًا: لها ثلاثة وجوه في الخطر هذه الكبيرة:

الخطر الأوّل: أنّ هذه الكبيرة تُفسد الأعمال، وتُلحق الأعمال الصّالحة بالأعمال السّيّئة، يعني: يكون شكل العمل صالح وحقيقته سيّء، فَيَعْظُمُ الجرم! يعني: لو كانت هذه الكبيرة وقع فيها الإنسان وهو يعمل الأعمال الصّالحة، والنّتيجة أنّه لا له ولا عليه، كان أهون! لكن هو لو وقع فيها وقت العمل الصّالح؛ سيخرج بأن يصبح هذا العمل الصّالح عليه وليس له!

ولذلك فإنّه شيء عظيم جدًّا! تصوّرِي العمل الصّالح يصبح من الأوزار! وهذا مشهور في حديث[64] أوّل ثلاثة تسعّر بهم النّار، قارئ القرآن، والمجاهد في سبيل

[64]() **متن الحديث:** ((إنَّ أولَ الناس يقضى عليهِ يومَ القيامةِ ثلاثة، رجل استشهدَ في سَبيلِ الله، فأُتي به فعرَّفهُ نعمتهُ فعرفها قال: فمَا عمِلتَ فيها؟ قالَ: قاتلتُ في سبيلكَ حتَّى قتلتُ قال: له كذبتَ، ولكنكَ قاتلتَ ليقالَ هو جريءٌ فقد قيل، ثم أُمرَ به فسحبَ على وجههِ حتَّى أُلقي في النَّارِ»، أخرجه مسلم الإمارة (1905).

الله، والمنفق؛ هذه أعمال صالحة، لكن بسببها سيدخل النّار! **والسّبب**: أنّه أراد الدّنيا! إرادته للدّنيا، تعني: الرّياء كلمة: (إرادة الدّنيا)، أوسع من كلمة: **(الرّياء)**، لكن يدخل فيها **الرّياء**. فهذا هو الخطر الأوّل.

الخطر الثّاني: أنّ هذه الكبيرة خفيّة، محاربتها ليست بالشّيء الهيّن! يعني: الّذي لا يُراقب قلبه فإنّه لا يدري أين مكانه؟! ولا يدري هل هو لله أم ليس لله؟!

الخطر الثّالث: أنّ الخوف من الرّياء قد ينحرف، فيترك الإنسان بسبب ذلك العمل الصّالح! فالشّيطان يمكن أن يُلَبِّسُ على الإنسان فيجعل خوفه من الرّياء سببًا لترك العمل الصّالح. وهذا خطر! يعني يأتيك في كلّ مكان، ويقول لك: (لا! أنت تُرائي)! فيقوم بترك هذا العمل، وترك هذا العمل، فيصير يترك الأعمال كلّها في النّهاية!

فصار من كلّ جهة هناك خطر: فلو وقع في الرّياء خطر عظيم! ولو ترك الأعمال من أجل الرّياء خطر عظيم! فلابدّ أن يكون الأمر واضحًا -وإن شاء الله- يأتي العلاج.

فصارت هذه ثلاثة أخطار، لذلك لابدّ أن يُميّز **الرّياء**، **والسّمعة** الّتي تلحق **الرّياء** عن غيره، ونرى ما هو العلاج؟

نحاول في هذه الجلسة أن نقول كلّ الّذي نستطيعه، لكن أنا لا أظنّ أنّنا في جلسة واحدة نستطيع أن نلمّ بهذا الموضوع العظيم، حتّى لو كنّا قدّمنا له؛ فلا بأس حتّى لو لم يكفينا هذا الأسبوع، الله يمدّ في الأعمار بالأعمال الصّالحة، ويحفظ علينا نعمة الاجتماع حول كتاب الله، وسنّة نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم- ونجتمع الأسبوع القادم على نفس الموضوع؛ سنقول الّذي يتيسّر وربّنا يبارك لنا في الأوقات.

نحن انتهينا من الدّليل الأوّل، الّذي هو: ("باب ذكر الرّياء والسّمعة": وقول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾) ويجمع مع العمل الصالح: (﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[65].)، فهناك ثلاث كلمات هنا بالنّسبة لنا في هذه الآية، بالنّسبة لموضوع **الرّياء والسّمعة**، تُعتبر مفتاحًا من أجل أن نفهم القضيّة:

الكلمة الأولى: ﴿يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، هذه الكلمة العظيمة.

والكلمة الثّانية: ﴿عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾.

والكلمة الثّالثة: ﴿لَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾.

فصارت ثلاث كلمات، وفي هذه الكلمات تتضمّن هذه الآية العظيمة الكريمة العلاج:

---

[65]) الكهف: ١١٠.

الكلمة الأولى: ﴿يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: لأنّ من اشتغلت نفسه بلقاء ربّه، اجتهد في الإخلاص، فصار أحد أسباب علاج **الرّياء والسّمعة** أنّ الإنسان يذكّر نفسه بلقاء الله. وهذه كلمة جوهريّة مهمّة جدًّا، وعلى ذلك حين يقوى الرّياء والسّمعة، لابدّ أن تعرفِي أنّ الّذي ضعف هو: التّفكير في لقاء الله. ولماذا يضعف التّفكير في لقاء الله؟ لأنّنا:

⇐ لا نقرأ في كتاب الله، ونتأمّل كيف هي أحوال النّاس حين يلقون ربّهم بين فائز وخاسر!

⇐ ولا نتأمّل في سنّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- الّتي تخبرنا كيف يكون لقاء الله!

إذًا: هذه كلمة مهمّة جدًا، وأنت كلّ مرة تقرئين فيها **سورة الكهف**، وتصلِين إلى خاتمتها، لابدّ أن تكون هذه الخاتمة ذات أثر في نفسك، أنّه لابدّ أن أقوّي في نفسي الاستعداد للقاء الله، الانشغال بلقاء الله.

وهذه الحقيقة علاج جامع: العلاج الجامع **للرّياء والسّمعة** -بدون الدّخول في التّفاصيل-: فقط أن ينشغل قلبك بلقاء الله. هذا هو، إذَا كنت طيلة الوقت منشغلة بلقاء الله، فلن تفكّري في أحد غير الله، وإذَا كنت لن تفكّري في أحد غير الله؛ **إذًا:** فقط ستطلبين رضا الله، وإذَا كنت ستطلبين رضا الله، فقد جاء الإخلاص! هذا

هو بالضّبط الإخلاص. فهل ترين كم هذه الكلمة مهمّة جدًّا!

طبعًا هذه الكلمة من أجل أن نصل إليها؛ فإنّنا نحتاج أن نتعلّم كثيرًا، ونذكّر أنفسنا؛ فهذه الكلمة لا تتحمّل الغفلة! الانشغال بلقاء الله لا يتحمّل أبدًا الغفلة بصورة من الصّور! على كلّ حال، فهذه الكلمة أصبحت تامّة الوضوح.

الكلمة الثّانية: (فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا): وهنا المقصود بـ: (صَٰلِحٗا): السّنّة، يعني: الّذي أتى في كتاب الله، وسنّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أنّ هذا عمل صالح، يعني: البعد عن البدعة.

ما علاقة البدعة **بالرّياء والسّمعة**؟ العلاقة بين البدعة و**الرّياء والسّمعة** خفيّة جدًّا! لماذا؟ لأنّ السّنّة مشهورة، يعني الدّين الّذي جاء به رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- مشهور، والنّاس حين يجدون أنفسهم لا يتحمّلون أن يكونوا مثلهم مثل غيرهم، ماذا يفعلون؟! يذهبون يخترعون لأنفسهم شيئًا جديدًا! لكي يصيروا مميّزون وبارزون فتأتيك البدعة! طبعًا البدعة، ليس هذا سببها الوحيد؛ البدعة من أكثر الأمور الّتي أسبابها متشابكة؛

يدخل فيه: ﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾[66]، يدخل فيه: المصالح الدّنيويّة والأموال، يدخل فيه: الهوى، فالبدعة يدخل فيها أشياء كثيرة! لكن من أحد أسباب البدعة الخطيرة جدًّا أن يكون الإنسان يريد أن يقول: (ها أنا موجود! انظروا إليّ)! فماذا يفعل؟ يخترع عبادة من العبادات؛ لذلك: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ ما نوعه؟ ﴿صَٰلِحٗا﴾، ويجمع مع ﴿صَٰلِحٗا﴾ الشّيء المهمّ الّذي واضح علاقته **بالرّياء والسّمعة**: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾.

﴿أَحَدَۢا﴾ يعني: ولا أيّ أحد؛ وهذه الكلمة من أوسع الكلمات ﴿أَحَدَۢا﴾، النّاس قد اتّخذوه ندًّا، يعني: **الشّرك الأكبر**، الّذي هو **مثل**: عبادة غير الله مع الله؛ يذهب ليطلب السّيّد البدوي، يطلب الحسين، يطلب السّيّدة زينب، يطلب عبد القادر الجيلاني، يطلب...كلّ هذا هكذا بتفاصيله: ﴿أَحَدَۢا﴾.

﴿أَحَدَۢا﴾ مع من؟ مع الله! فالأمر واضح! ﴿أَحَدَۢا﴾ مهما كان فإنّه يقول: (لا! هذا له كرامات)! ماذا تقولين له؟ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾، أبدًا، أبدًا، ولا أحد.

---

[66]) الزخرف: ٢٢.

هكذا واضح هذا الشّيء الكبير؛ يصل به الأمر أنّه يأتي وقت العبادة يُشرك في طلب الثّناء أحدًا من الخلق؛ وهذه هي جوهر المسألة في الرّياء. فالشّرك الأكبر واضح موضوعه، نحن مشكلتنا في **الشّرك الأصغر** الّذي هو نموذجه: **الرّياء**، يعني: أحد نماذج الشّرك الأصغر: **الرّياء**.

فقط من أجل أن نعيد مرّةً أخرى: أين العلّة في الرّياء؟ **العلّة**: أنّ نفوسنا محبّة للثّناء؛ هكذا ربّنا طبعنا، كلّنا بدون استثناء؛ وكذّاب الّذي يقول: (لا أنا لا يهمّني أحد يُثني عليّ)! لا! أنت أصلًا مخلوق هذه الخلقة، رجلًا كنت أم أنثى، صغيرًا كنت أم كبيرًا؛ لازلت تحتاج إلى الثّناء؛ وهذا الثّناء هو الّذي يدفعك للتّوحيد، إذَا كنت عاقلًا، إذَا كنت فهيمًا، إذَا كنت نبيهًا. لماذا يدفعك للتّوحيد؟ لأنّ النّاس يومًا يثنون عليك، ويومًا ينقلبون عليك! ولا تعرف اليوم أثنوا عليك بسبب عملك أم بسبب مزاجهم! ويوم أن ينقلبوا عليك فإنّك لا تدري هل أنت أخطأت أم هم مزاجهم سيّء؟! ولذلك كان السّلف يقولون: "من عرف النّاس استراح، فلا يطرب لمدحهم، ولا يجزع لذمّهم؛ لأنهم سرِيعو الرّضا، سرِيعو الغضب، والهوى يُحرّكهم".

فأنت تتعب نفسك! أنت محتاج إلى الثّناء؟! نحن سلّمنا أنّك محتاج إلى الثّناء! واسمع ماذا يقول الله على هذا الثّناء:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾[67]، ﴿يُصَلِّى﴾ **بمعنى**: يُثني عليكم.

فأنت محتاج إلى الثّناء، هذا الوعد من الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، يعني: الذكر المباشر، الّذي تعرفِينه: أذكار الصّباح والمساء، والدّخول، والخروج، وأذكار النّوم، وأذكار الأكل، كلّ هذا، والصّلاة ذكر، قراءة القرآن ذكر، وكلّ ما يتّصل بتوجّه قلبك لربّ العالمين يعتبر ذكرًا. سيكون ضدّ الذّكر هنا: الغفلة.

أين صورة الرّياء؟ أين يأتي الرّياء؟ سائرة، سائرة، ما تريدين إلّا ثناء الله، وبعد ذلك تهتمّين بأحد، تحبّين أحدًا، ترين أحدًا، ماذا يحصل؟! أنت من البداية مركّزة لا تريدين إلّا ثناء الله، ويأتي أحد يدخل عليك، فماذا يحصل في الفؤاد؟! يميل إلى طلب ثناء غير الله، تريدين غير الله يثني عليك! فماذا حصل؟! الشّرك. الشّرك في طلب الثّناء. فهذا هو بوضوح: **الرّياء والسّمعة**، هو: الشّرك في طلب الثّناء. على أساس أنّك تفهمين جيّدًا أنّ الثّناء هو الّذي يشغلك؛ وأنت حين توحّدين الله في طلب الثّناء، يعني: تقولين: (لا أريد إلّا

---

[67]) الأحزاب: ٤١-43.

وجهك)، لا تريدين في طاعتك وعبادتك إلّا رضا الله، إذَا رضي الله عليك أثنى عليك.

ولذلك الله -عزّ وجلّ- يحبّ العبد: «مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»[68] وفي الحديث الثّاني أنّه: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ»[69] هذا كلّه من وراء ثناء الله؛ وهذا لا يأتي إلّا من وراء التّوحيد. التّوحيد في طلب الثّناء.

فهل رأيتنّ كيف هي علّتنا نحن؟! علّتنا عليلة كبيرة! الّتي هي هذه المسألة الضّيّقة، والّتي هي ضيّقة في مشاعرنا، الّتي هي طلب الثّناء؛ وذلك رغمًا عنك! والنّساء حبّهنّ للثّناء مضاعف! لا أحد يستطيع الإنكار! فهذا أمر مشهور، معروف، وحتّى الشّعراء تكلّموا عنه! وأنّها المسكينة من أجل أن يوقعوا المرأة بسهولة؛ يقولون لها كلمتين يمدحونها فتستسلم مباشرةً! فهنَّ يغرّهنَ الثّناء مباشرة! فالآن صارت الصّعوبة أكبر عندنا! لأنّ حبّنا للثّناء أقوى!

---

[68]() أخرجه البخاري(6164).

[69]() أخرجه البخاري (3062).

وإذَا كانت المرأة تقيّة؛ سيكون توحيدها أقوى! ولذَا ستكون سائرة على الصّراط المستقيم بحيث أنّها تجعل أهل البيت كلّهم يمشون على الصّراط المستقيم! ولذلك فهي مسؤولة عن تربية الأجيال، وليس هناك ما هو أكرم من هذه الوظيفة، أنّك تكونين القائد الخفيّ! كلّهم يحسبون أنفسهم أنّهم هم القادة، بينما في الحقيقة أنت هي القائد الخفيّ!! ولذَا كوني متأكّدة أنّك إذَا كنت تقيّة فإنّ النّاس سيستقيمون؛ ولذَا فإنّهم حين يريدون الإفساد يبدؤون بإفساد المرأة!

(فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ)، ما هو المطلوب منه؟ (فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا):

(يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ) وربّه عنه راضٍ.

(يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ) فيلقى ربّه ويُثني عليه ربّه، يُثني عليه في الملإ الأعلى، يُثني عليه -سبحانه وتعالى- في موقف الحشر، يُثني عليه حتّى يعطيه الدّرجات.

فهذا الإخلاص، لابدّ أن يكون هناك تفكير في لقاء الله؛ ولذلك (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ)، (ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ). ضدّ الذّكر ستكون: الغفلة!

إذًا: متى سيدخل الرّياء؟ حين تحصل الغفلة؛ حتّى لو يكون هناك ذكر باللّسان فإنّه حين يغفل القلب -حتّى لو ذكر اللّسان- دخل الرّياء! لذلك فإنّه لابدّ أن يكون القلب يقِظًا!

الآن سنبدأ بحديث جندب، اقرئي حديث جندب:

قال الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب، رحمه الله، في **"كتاب الكبائر"**، في **"باب ذكر الرّياء والسّمعة"**:

(عن جُندبِ بن عبد الله -رضي الله عنه- قالَ: قالَ رسولُ الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «مَنْ سمَّعَ سمَّعَ الله بِهِ، ومن يُرائي يُرائِى الله به»[70]. (قيل معنى من سمَّعَ سمعَ الله بِهِ أي فضحهُ يومَ القيامةِ، ومعنَى مَنْ يُرائِي: أي مَنْ أظهَرَ العمَلَ الصّالحَ للنَّاس ليعظَّمَ عندهم «يُرَائِي بِهِ الله» قيلَ معْنَاهُ إظهارُ سريرتِهِ للنّاس).)

التّعليق على الدّليل الأوّل(2)

في هذا الحديث واضح أنّ العقوبة من جنس العمل. ونبدأ أوّلًا: بمعنى: «سمَّعَ»، وبمعنى: «يُرَائِي».

«مَنْ سمَّعَ» بمعنى: من عمل عملًا صالحًا بينه وبين ربّه، ثمّ أذاعه. أو من عمل عملًا صالحًا يُسْمَعُ. صار هناك احتمالين: «مَنْ سمَّعَ»، يعني:

---

[70]) أخرجه البخاري (1).

- إمّا أنّه عمل عملًا صالحًا بينه وبين ربّه ثمّ أذاعه، سمَّع به، أذاعه.

- أو من عمل عملًا صالحًا يُسْمَعُ أمام النّاس، يعني: جاء يذكر بصوت عالٍ، يقرأ بصوت عالٍ، يعني: الأشياء الّتي تُسمع، وهذا سيكون ضيّق المعنى.

فيصيران هكذا متقابلين: «مَنْ سمَّعَ»، «ومن يُرائِي»:

⇐ يصير الّذي «سمَّعَ» معناه: راءى بالعبادات الّتي تُسْمَعُ، يعني: الذّكر، قراءة القرآن. ويصير يقابلها «ومن يُرائِي» بهذا المعنى: من قام بأفعال تُرَى أمام النّاس ليراه النّاس.

⇐ أو يكون «مَنْ سمَّعَ» بمعنى: أنّه بينه وبين الله، قام بأعمال ثمّ أتى بلسانه وتكلّم بها، وكلّ «من يُرائِي» يكون بنفس المعنى، **يعني**: فعل الأفعال ليس في السّريرة، ليس في السّرّ؛ في العلانيّة، وانتظر أن يراه النّاس.

إذًا: الاختلاف ليس في «من يُرائِي»؛ وإنّما في «مَنْ سمَّعَ». كم احتمالا في «مَنْ سمَّعَ»؟ احتمالان:

الاحتمال الأوّل: أنّه عملٌ خفيٌّ، وبعد ذلك ذهب وأذاعه، يكون قام اللّيل، وبعد ذلك يصبح الصّباح، يقول: (اليوم أنا

مرهق الحقيقة لأنّه أمس نمت، أو صلّيت ساعتين)! الآن الصّلاة ساعتان كانت بينه وبين ربّنا بالأمس، والكلام اليوم هو الّذي يُسمّى: سُمعة، «سمَّعَ» النّاس بعمل كان بينه وبين الله.

الاحتمال الثّاني: أو أصلًا يُرائي بشيء، أو يُظهر عمل يُسْمَعُ، يعني: يُسبّح بصوت عالٍ، يستغفر بصوت عالٍ، يقرأ القرآن بصوت عالٍ، وبهذه الطّريقة! أو يحفظ وبعد ذلك ينادي النّاس أنّه: (تعالوا انظروا إليّ أنا حفظت)!

«مَنْ سمَّعَ سمَّعَ الله بِهِ» ما المقصود بسمَّع؟ أمّا عَبَدَ الله بعبادات تُسْمَعُ، أو عَبَدَ الله سرًّا ثمّ سمَّع بما عَبَدَ الله به. واليوم التّسميع والرّياء يحصل فيهما تداخل؛ لأنه هو يعمل عملًا بينه وبين ربّنا، مثلًا: يتصدّق على أحد، يذهب يصوّر نفسه وهو يتصدّق، هذا عمل السّرّ! وبعد ذلك يُشيع هذا العمل، فيصير عمل كلّ شيء مع بعضه: سمَّع، وراءى، وكلّ شيء، رأوه وسمعوا عنه أنّه فعل هذا بينه وبين الله، فلم يصبح بينه وبين الله! يعني إذَا كان قبل هذا الزّمن بعشر سنوات خطر **السّمعة والرّياء** عظيمًا؛ اليوم أصبح أعظم! لأنّك ترين أنّ النّاس ليس فقط يراؤون ويسمّعون؛ وإنّما ويمثّلون! لأنّهم يريدون أن يتصوّروا عند الكعبة، ماذا

يفعلون؟! يرفعون أيديهم على هيئة الدّاعي، ويتصوّرون، ويخفضون أيديهم، وانتهى الموضوع! يعني لهذه الدّرجة أصبح امتهان العبادات، أصبح أعظم من **الرّياء والسّمعة**! !

يصوّر نفسه طيلة الطّواف، ويصوّر نفسه وهو ذاهب إلى السّعي، في كلّ مقام.

المهمّ: فقد انفرط علينا العقد، ومن كثرة ما صارت المسألة متكرّرة، استسلمنا! صرنا نشعر بأنّه شيء عادي! وأنّه كيف ننتقد مثل هذا؟!

أنتنّ ليس مطلوبًا منكنّ أن تنتقدن أحدًا، فقط انشرن الحقّ مع من يفهم الحقّ، وربّنا يرفع عنّا ويكشف عنّا هذا البلاء! ولابدّ أن تتصوّرن أنّه لا يأتي زمن إلّا والّذي بعده شرٌّ منه، خصوصًا في مسائل تتّصل بالعبادات والإخلاص! فالنّجاة! النّجاة! بالتّمسّك بحبل الله، والبعد عن كلّ ما يأتي يعصف بالتّوحيد! فصور العصف بالتّوحيد اليوم من كلّ جهة! صار لا يوجد بين النّاس وبين ربّهم عبادات!

طبعًا نحن سنستثني بعد ذلك القدوات، ونرى: أصلًا القدوات كيف أنهم لابدّ أن يفعلوا، وكيف يخرجون أنفسهم من الأزمات؟ ومن هم القدوات؟! فليس كلّ واحد ماشي في الطّريق يقول: (أنا أفعل لكي يقتدي بي النّاس)! لا! ليس بهذه الطّريقة؛ هناك أشخاص محدّدون، وأوضاع محدّدة، نقول

فيها: لا مانع من النّشر لأنّك قدوة، لكن ليس هكذا على مصرعيها المسألة، وليس الآن نتكلّم عن القدوات؛ وإنّما أوّل شيء: نؤسّس الأصل، الأصل أن تبقى العبادات سرًّا بينك وبين الله.

وكان الرّبيع ابن خيثم، رجل من الصّالحين، من السّلف الصّالح، يقرأ القرآن، إذَا دخل عليه أحد غطّاه، لكيلا يراه أحد بأنّه قارئ للقرآن؛ وليس يفرح حين يدخل عليه أحد وهو قارئ القرآن لأنّه رآه! انظري: كيف الفرق بين الّذي يغطّيه، وبين الّذي يفرح (الحمد الله أنّك رأيتني أعبد الله! ما احتجت أنّي أرائي ولا أسمَّع لك؛ وإنّما أنت رأيتني هكذا بالمناسبة طائع عابد)! هل ترين حتّى هذه المشاعر الخطيرة؟!

المهمّ: لا تنسين أنّه هناك خطر ثانٍ! -خطر أخير قلناه في أوّل الكلام- أنّ هذا الكلام لا يدفعكنّ إلى ترك العمل الصّالح! فهكذا تكنّ قد انحزتنّ إلى الجهة الأخرى! إنّما المدافعة! المدافعة! المجاهدة!

الآن فهمنا: هذا سمَّع، وهذا راءى، والجزاء من جنس العمل:

 «سمَّعَ الله بِهِ».

□ «يُرائِى الله به».

وكلام الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب، في بيان هذا: (قيل معنى من سمَّعَ سمعَ الله بِهِ أي فضحهُ يومَ القيامةِ) الجملة الأولى تقول: (يومَ القيامةِ).

انظرن إلى الجملة الثّانية؟ (ومعنَى مَنْ يُرائِي: أي مَنْ أظهَرَ العمَلَ الصّالحَ للنَّاس ليعظَّمَ عندهم «يُرَائِي بهِ الله» قيلَ معْنَاهُ)، ما معنى أن «يُرَائِي بِهِ الله»؟ (إظهارُ سريرتِهِ للنّاس) صار شرح المسألة بأمرين؛ هذان الأمران يصلحان لسمَّع، وراءى، ما هما؟ **ممكن**: سمَّع الله وراءى الله به في الدّنيا، **وممكن**: سمَّع الله وراءى به في الآخرة.

وبعد ذلك نتفاهم الآن، من الممكن أن يكون الجزاء في الدّنيا؛ ومن الممكن أن يكون الجزاء في الآخرة؛ ومن الممكن أن يكون في الاثنين معًا!

دعنا نرى: في الدّنيا ما هو معناه؟ ما معنى أن يسَمّع الله به؟ وما معنى أن يُرائي الله به في الدّنيا؟ في الدّنيا، **معناه**: سيقع عليه خلاف مقصده. هو ماذا يريد؟ يريد أن يَعْظُمَ عند النّاس -حسب الكلام السّابق- أنّ الإنسان يهمّه مكانه عند النّاس. كيف سيجازيه ربّ العالمين؟ «سمَّعَ الله بِهِ»، «يُرائِى الله به» يعني: سيسمع النّاس سريرته الحقيقيّة، وسيرى النّاس سريرته الحقيقيّة، الّتي أخفاها؛ فالآن أليس هو مرائيًا؟ يريد

أن يعظم في عين النّاس، فيفعل أشياء من أجل أن يعظم في عين النّاس.

الآن نحن لا نقول بأنّ هذه الأشياء دنيويّة أبدًا! في هذا النّقاش كلّه نحن نقول إنّها عبادات، والدّنيويّة لها كلام آخر، **يعني** ليس شيئًا سهلًا أنّ الإنسان يحاول أن يعظم عند النّاس بالدّنيا، لكنّه ليس مثل الدّين! فكلّ النّقاش الآن فقط في الدّين، في صلاة، في صيام، في عبادة، في طواف، في حجّ، في عمرة، فيما يتّصل بالدّين؛ إذَا سمَّع أو راءى، بمعنى أظهر أعمالًا لثناء النّاس، وليعظم عند النّاس؛ فإنّه في الدّنيا سيجازي بخلاف مقصده! بمعنى أنّه بدلًا من أن يعظم عند النّاس؛ فإنّ النّاس سيحتقرونه، فتظهر سريرته! وتشتهر بين النّاس سريرته! وهذا لا يكون من ظنون النّاس فقط، ليس النّاس من يظنّون فيه سوءا؛ لأنه لا يحقّ لك أن تظنّي في النّاس سوءا! لا، وإنّما تحصل منه أعمال تكون بمثابة الفضح لسريرته؛ هذا بالنّسبة لعامّة النّاس.

وبالنّسبة للخاصّة، وحين نقول: "للخاصّة" لا نحسب أنفسنا من ضمنهم، لكيلا تحكمِي على النّاس، لكن يكون هناك أتقياء، أولياء، علماء، فيأتي هذا طالب مثلًا، ويذهب عند العالم يريد أن يُرائي، أو يُسمّع فيقول: (أنا بحثت، وعملت)! فالّذي أمامه من الأتقياء، هؤلاء يشمّون رائحة **الرّياء**

والسّمعة. يعني يُلقي -عزّ وجلّ- في قلوب الأتقياء فسق هؤلاء، لكن هذا ليس حكمًا عامًّا، يعني نحن ليس لنا أن نقول: (أنا أشعر بأنّ هذا مُرائي! وهذا لا! وأنا أشعر أنّ هذا مسمّع)! لا هذا ليس من حقّنا، هذا لخاصّة من النّاس.

عمومًا من راءى وسمَّع، راءى الله به وسمَّع به، بمعنى: أخرج سريرته بمواقف وأحداث، يظهر فيها أنّه مُرائي ومُسمّع؛ هذا لو قلنا أنّه في الدّنيا.

في الآخرة الأمر أشدّ! في الآخرة سيكون الأمر على رؤوس الخلائق! يفضحه يوم القيامة بأنّ هذا عَبَدَ وأراد غير وجه الله؛ لا تُترك له اللّفتة الّتي التفتها هنا، والّتي التفتها هنا! أراد فلان، وأراد فلان، وأراد فلان! فيُفضح على رؤوس الخلائق، في التّسميع وفي الـمُراآة!

على كلّ حال، الغالب لمن امتهن هذه المهنة، وصار فقط يُرائي ويُسمّع؛ فإنّه لابدّ أن يُفضح في الدّنيا! وأنت انظري كثيرًا ما تصير في الإعلام، أنّ شخصيات تأتي وتشتهر ويصير لها مكانة، وتفعل كثيرًا من الأفعال رياء وسمعة! ليس نحن من نحكم عليهم رياء وسمعة لا؛ وإنّما هم يأتون في مواقف ويعيدون التّصوير من أجل أن يظهروا أنّهم باكون أكثر، أو أنّهم داعون أكثر في برامجهم!

بعد ذلك لا تموتِين إلّا وقد رأيتِ أنّ الله قد فضحهم! يفضحهم بكذا! وكذا! «مَنْ سمَّعَ سمَّعَ الله بِهِ، ومن يُرائِي يُرائِى الله به» إلّا يُفضحون في الدّنيا! ولست أنت من تحكمين عليهم من عندك؛ وإنّما يفعلون أفعالًا تكشف حقائقهم! وهناك نوع آخر، وهو خاصّ، أهل التُّقى، وأهل الولاية، أهل العلم، يلمحون هذا، ويشمّون رائحة هذا الشّأن! الله يسترنا جميعًا، ويكفينا شرّ أنفسنا، اللّهمّ آمين.

فهمنا الآن في الدّنيا، وفي الآخرة؛ في الآخرة يُفضح على رؤوس الخلائق، أنّ فلانًا ما أراد وجه الله، وأراد فلانًا وفلانًا، أراد مدح النّاس، وكذا من الأمور الّتي تكون غاية في الإهانة في ذاك اليوم! ودائمًا نفكّر في أوّل ثلاثة تُسَعّر بهم النّار؛ يكونون أوّل ثلاث تُسعّر بهم النّار، سابقين لمن؟ سابقين لكلّ أصحاب الآثام، مع أنّهم طائعون! لكنّهم يكونون سابقين لأصحاب الآثام في دخول النّار! وبعد ذلك على رؤوس الخلائق يُسألون، يُذكّرون بالنِّعم! **في مقابل**: أنّ المؤمنين الأتقياء حتّى لو كان عندهم ذنوب؛ يستر الله -عزّ وجلّ- عليهم، ويكلّمهم، لكن هؤلاء الفسقة الّذين هم أهل **الرّياء والسّمعة**؛ يُسألون على رؤوس الخلائق، ويُذكّرون بالنِّعم، ثمّ يُقال لهم: ما صنعتم فيها؟ قارئ القرآن يقول: (قرأت فيك)! المجاهد يقول: (جاهدت فيك)! المتصدّق يقول:

(تصدقّت فيك)! فيُقال لكلّ واحد منهم: كذبت، فيسحبون إلى النّار! فهذا كلّه دليل على أنّ الّذي يُرائي؛ يُراءَى به، يعني يُفضح يوم القيامة، يعني دليل الثّلاثة مع هذا الدّليل يبيّن لنا أنّ أوّل ما يحصل **الرّياء والسّمعة**، لا يكون الحساب بين الله وبين عبده في السّتر؛ إنّما يُفضح! لماذا؟ الجزاء من جنس العمل.

انتهينا هكذا وعرفنا: أنّ الأوّل أراد أن تكون سيرته في الخلق التّعظيم في الدّنيا، فجازاه الله بأن تكون سيرته في الخلق الاحتقار في الدّنيا وفي الآخرة!

انتهينا الآن من هذا الحديث، ننتقل للحديث المشهور:

(ولهمَا عنْ عمرَ -رضي الله عنه- قالَ: قالَ رسولُ الله -صلّى الله عليه وسلّم- «إنمَا الأعمالُ بالنياتِ وإنمَا لكُلِّ مرئ ما نوى».)

التّعليق على الدّليل الثّاني

هذا الحديث مع شهرته لكن كلّما أتينا نتكلّم عن **الرّياء والسّمعة**، لابدّ أن نذكّر أنفسنا به. الأعمال ليست بشيء إلّا على حسب المقصود منها، الّذي **هو**: النّيّة، يعني الأعمال مُعتبرة بنيّات أصحابها. متى تُعتبر؟ متى يعتبر العمل شيئًا؟ بنيّة صاحبه.

ولأجل أن تتصوّرن: الآن سأضرب مثالًا: ليس له علاقة **بالرّياء** أبدًا؛ له علاقة بنفس فهمنا أنّ الأعمال بالنّيّات. الآن هناك اثنان امتنعا عن التّدخين، أحدهما امتنع عن التّدخين بنيّة أن يُحافظ على صحّته، والآخر امتنع عن التّدخين بنيّة أنّه حرام. من سيأخذ أجرًا على الامتناع؟ الثّاني طبعًا؛ الأوّل ما عليه إثم، لكن أيضًا ليس له أجر؛ **في المقابل:** أنّ الّذي امتنع من أجل الله، هذا سيأخذ أجرًا.

إذًا: الأعمال مُعتبرة على أساس النّيّة الّتي هي القصد الّذي حرّرته. حرّرته، يعني: فكّرت، وفكّرت، وعرفت ما هو قصدك، وبعد ذلك تصرّفت. وليس الّذي تكون أنت فيه سائرًا مع السّائرين.

نحن عندنا مشكلة كبيرة في النّيّات. أين المشكلة في النّيّات؟ أنّها هي من أعظم أبواب الأجور، ومن أكثرها إهمالًا! ثمّ إننا لا نعرف ما هو الزّهد الحاصل لنا تجاه التّجارة بالنّيّات؟!

دعنا نضرب مثالًا: على الوضوء. أنت الآن أذّن الظّهر، أذّن المغرب، تلقائيًّا -الحمد الله من فضل الله- بسبب الإيمان تلقائيًّا تعرفين أنّ واجبك أنّك ستُصلّين؛ تلقائيًّا ستتحرّكِين وتتوضّئين. التّلقائيّة هذه جميلة جدًّا؛ لأن **معناها:** أنّ هذه حياتنا، هذا تفكيرنا، هذا مقصدنا. جميل، لكن نريد بجانب

التّلقائيّة هذه التّجارة بالنّيّات؛ لأننا نفهم أنّ العمل سيُعتبر بالنّيّة.

أنت ستقولين لي: (أنا سأمشي أكيد لأتوضّأ لكي أصلّي الظّهر!)، صحيح، وهذا مُعتبر، لكن كأنّك فرّطت في أشياء كثيرة من الممكن أن تُتاجري بها!

هيّا سنرى: حين أذهب لأتوضّأ، الوضوء لأجل الصّلاة؛ هذه أصلًا النّيّة حتّى لو ما تكلّمتِ، حتّى لو ما حرّرتِها فهي المقصودة، وأصلًا هذه النّيّة ليس فيها كلام؛ فيها تحرير، لكن ماذا يعني تحرير؟ يعني تفكّرين ماذا تقصدين بهذه الخطوات الّتي ذهبتِ لفعلها.

توضّأتِ، من المفروض أنّه لأجل أن تتاجري مع ربّ العالمين، وأنت تعرفِين أنّ النّيّات مُعتبرة؛ تجمعِين مع نيّة الطّهارة للصّلاة الّتي هي شرط الصّلاة، أنّه مع آخر قطرة من كلّ عضو، تذهب الآثام -مثلًا- هذه من التّجارة!

فعملك مُعتبر على حسب النّيّة، على حسب قصدك الّذي حرّرتِه. حرّرتِه، يعني ماذا؟ يعني: فكّرتِ فيه أثناء العمل؛ ولذلك من أسباب مضاعفة الأجور: تحرير المقاصد. ما هو قصدك؟ **بمعنى:**

✔ الآن تصدّقتِ من أجل العاطفة، العاطفة الطّبيعيّة الّتي تصير عند النّاس، عاطفة الشّفقة.

✔ تصدّقتِ لأنّك تشعرِين بأنّ الله أنعم عليكِ ولابدّ أن تُشكري نعمة الله؛ هكذا ارتفعت أكثر المسألة.

✔ تصدّقتِ لأنّك على يقين أنّ يوم القيامة موقف عظيم، ويمكن أن يكون بينك وبين النّار مقدار شقّ تمرة، لو تصدّقتِ بها حجزتك شقّ التّمرة عن النّار؛ وهذا أيضًا أعظم!

✔ ومثل هذا، تصدّقتِ وأنت تفكّرِين أنّ هذه الصّدقة ستأتي يوم القيامة تكون ظلًّا لكِ لأنّ «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ»[71] يوم القيامة؛ وكلّما فكّرتِ أكثر، كلّما نفس هذا الرّيال، ضُعِّفَ أجره أكثر.

إذًا: الأعمال مُعتبرة على حسب النّيّات. والنّيّات هي المقاصد الّتي حرّرها الإنسان. حرّرها، يعني: فكّر فيها. متى؟ أثناء العمل. **يعني:** هي ليست سابقة فقط؛ سابقة هذه أصل الإيمان، السّابق هذا أصل إيمانك، لكن الّذي في لحظتها، **معناه:** أنّ الإيمان يزيد لدرجة أنّك تفكّرين في الدّار الآخرة كأنّها أمامك، وكلّ تفكيرك أنّك ترجين لقاء الله!

---

[71]() أخرجه ابن خزيمة (2235).

مثلًا: ونحن جالسون هذه الجلسة -نسأل الله عزّ وجلّ أن يديمها، ويبارك فيها، ويزيدها- شعورنا أنّ الملائكة موجودة معنا، ثمّ إنّك وأنت في البيت تقولِين: (أنا كيف أغيب سواء هنا، أو في أيّ مكان فيه الحقّ، والقرآن، والإيمان؟! كيف أغيب عن الملائكة؟! الملائكة ستذهب تحضر مجلس الذّكر إذا عُقد، وأنا أغيب! وأعلّق الدّراسة عندِي! وأجلس! وقليل من المطر أو شبر أو شبرين تحرمني من الجلوس مع الملائكة!)، هذا متى تشعرِين به؟ حين يكون هناك شعور: (أنّ هناك ملائكة تبحث عن مجالس الذّكر المعقودة)، ثمّ إنّها سواء كانت معقودة بنفر، أو نفرين، أو ثلاثة؛ فإنّ الملائكة تجلس. من المحروم؟! الّذي علّق الدّراسة، هذا هو المحروم الّذي جلس في بيته، وقال: (مطر! إذًا دعنا نبقى نستريح قليلًا)!

وطبيعي أنّ يتغيب أهل الدّنيا لكن لم يغيب أهل القرآن؟ ما الّذي يكون ناقصًا؟ شعور أنّه: (هذا مجلس معقود فستجلس الملائكة وأجلس معهم وحين أقوم فتقول لي الملائكة: قوموا مغفورًا لكم! مشكلة كبيرة! حرمان!) لكن هي المسألة لا تُحسب هكذا، ما السّبب؟ النّيّات المحرّرة!

✔ وأيضًا يزيد الإنسان، فيفكّر في عقله: (أنا الآن ليس مهمّا!) أحيانًا تذهبِين إلى مجالس علم -الحمد لله،

الله يكثّرها ويبارك فيها في كلّ مكان- من الممكن أنّك لا تفهمِين كلّ شيء يقوله النّاس في المجلس، ولكن أنتِ لا تطمعين فيما يقول هؤلاء، وإنّما تطمعين في أنّ: (الملائكة سبب لانشراح الصّدر، الجلوس معهم سبب لتكثير الحسنات) فيصير المعنى أنّ مقصدك وأنت تخرجين: أنّ الملائكة أصلًا تستغفر لكِ وأنت خارجة، وبعد ذلك تذهبِين هناك وتجلسِين معها، وحين تقومِين تقول لكِ الملائكة: قوموا مغفورًا لكم؛ وبعد ذلك العلم بنفسه شرف، إن فهمنا -الحمد الله خير وبركة- نيّة أكثر، وإن ما فهمنا فقد استفدنا شيئًا عظيما، وهو ماذا؟ الملائكة؛ **فالمقصد:** أنّك وأنت خارجة تفكّرين في كلّ هذا ونحن ندور حول الأعمال بالنّيّات. **يعني**: الأعمال مُعتبرة بنيّاتها.

فانظري: حين يكون عملًا واحدًا، في ساعة واحدة، وبعد ذلك يأتي نورًا وضياء لصاحبه، ساعة واحدة وبعد ذلك يكون نورًا وضياء! وما ندري نحن أيّ عمل يكون نورًا وضياء؟! فلا يزال هناك وحشة القبر! لا يزال خروج النّاس من قبورهم! ينتظرنا شيء طويل، لكن يُسِّرَ لنا في الدّنيا أسباب تيسيره في الآخرة.

وانظري: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»؛ ولذلك هناك أقوام كما في كتاب الله في سورة التّوبة، أقوام كما أخبر النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-:

«إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ»(72)، باقون في المدينة، لكن قلوبهم راحلة معهم.

وانظري: كيف حين تحبّين الحجّ ولا يتيسّر لك، لكن القلب مع هؤلاء؟! فتكون الأجور موجودة. معنى ذلك مرّة أخرى: الأعمال مُعتبرة بالنّيّات. النّيّات الّتي هي مقاصد الأعمال. مقاصد الأعمال الّتي حرّرها الإنسان. يعني: فكّر فيها أثناء العمل، يعني: هو مقدّم على العمل؛ يعني: نحن لا نتحوّل مثل الآلة في كلّ الأعمال، لابدّ بقدر المستطاع أن نحرّر نيّاتنا، تحرير النّيّات الّتي هي القضيّة الأساسيّة، لأجل أن لا يصير هناك **الرّياء والسّمعة**، وتحرير النّيّات لا يصير والقلب فارغ من الإيمان، من العلم، انظرن إلى التّسبيح بعد الصّلاة، أو (سبحان الله وبحمده) مائة مرّة، في أذكار الصّباح والمساء، تأتي على اللّسان -الحمد الله- الله يُيسّرها على اللّسان، لكن هناك فرق كبير حين تقرئين النّصّ أنّه: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ

---

(72) أخرجه البخاري (4184).

وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[73]، وتقولِين: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» بهذه الحرارة، غير حين تقولِينها على أساس أنّها فقط من الأوراد!

وأعظم من ذلك لو فكّرنا في سيّد الاستغفار، فإنّ سيّد الاستغفار من عظائم النِّعَم! **تصوّري**: ما بينك وبين الجنّة إلّا أن تقولِي سيّد الاستغفار في الصّباح فتموتِين فتدخلِي الجنّة! «مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»، أو تقولينه في المساء فتموتِين فتدخلِي الجنّة «مَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ»[74]؛ كلّ هذا يحتاج ماذا؟ «مُوقِنًا».

«مُوقِنًا» هذا الّذي عقدت نيّتك عليه. ماذا تقولين؟ ماذا تقصدين؟ يعني حين تقرئين سيّد الاستغفار تفكّرِين في أمرين:

الأمر الأوّل: في الموت.

الأمر الثّاني: الجنّة.

مثل: الصّحابي الّذي شمّ رائحة الجنّة على طرف المعركة، وفي يده تمرات، شعر أنّه وقت طويل إلى أن

---

[73]() أخرجه مالك (497).

[74]() أخرجه البخاري (5972).

يأكلها، شمّ رائحة الجنّة! فهذا اليقين الّذي في القلب؛ هو الّذي يعطي الأعمال أجورها.

انظري: كلّ هذه الكمّيّة، وأكثر منها، كثير من فضائل الأعمال في التّوجّه إلى ربّ العالمين، وفي الأجور المرتّبة، تخيّلي هذا كلّه حين يضعه الإنسان على شماله، وبعد ذلك يذهب يبحث على ثناء النّاس! انظري: إلى المصيبة العظيمة الّتي أوقع الإنسان نفسه فيها! ماذا يعني ثناء النّاس أمام أنّك تخرجين وتجلسين مجلسًا، الملائكة تحضر فيه معك؟!

دعنا نرى: الآن النّيّة أين تذهب؟! الجارة الّتي أمامك ليس مسهّلًا لها أن تخرج، فمثلًا: دائمًا هذه الجارة كسلانة، ما عندها من يوصلها، زوجها لا يوافق على خروجها..فكلّما خرجت تنظر إليك وتقول: (ما شاء الله يا حظّك)! لكن أعجبتك هذه الكلمة! وأنت خارجة تفكرِين أنّها ستراكِ، وتنتظرِين كلمة الثّناء! وإذَا ما قالتها لكِ هي في العصر، تقولها لك وأنت راجعة!

هل ترين كيف؟! ذهب استحضارك للملائكة! والاستغفار! وكلّ شيء ذهب! بقيت ملاحظتك لهذه الجارة الّتي وقتما أردتِ القيام بالعمل لاحظتِ ثناءها! هل واضح أين **الرّياء**؟ وقتما أردتِ القيام بالعمل لاحظتِ ثناءها؛ هذا هو **الرّياء** بالضّبط!

ربّنا غفور رحيم، مالنا إلّا أن نتعلّق بمغفرته، لكن الله يريد من عباده، أن يُخَلُّوا قلوبهم له: «أَلا وَإنَّ في الجَسدِ مُضغَةً: إذَا صلحتْ صلَحَ الجَسَدُ كُلهُ»(75)؛ والشّيخ ابتدأ بها الكلام في الكتاب.

ثمّ «إنَّ الله لاَ يَنظرُ إلى صورِكُمْ، ولاَ إلى أَموالكُم»(76)، ليس صورتك وأنت خارجة أو داخلة؛ إنّما «ينظرُ إلى» ماذا؟ «إلى قلوبِكمْ»! أليس في رواية مسلم: «إلى قلوبِكمْ وأَعْمَالِكُمْ»(77) يعني: إلى قلوبكم أثناء قيامكم بالعمل.

فمن أجل ذلك انظري: هذه الالتفاتة فقط أفسدت علينا الحياة! ضعِي كلّ أحد في مكانه، وسنكرّر الآن: كلّ هذا النّقاش إنّما هو محصور في العبادات، يعني: التفات قلبك لغير الله في العبادات لثناء النّاس يُدخل الإنسان في **الرّياء والسّمعة**، الّذي يترتّب عليه الحرمان من الأجور وإفساد الأعمال؛ أمّا **الرّياء والسّمعة** المتّصل بالدّنيا؛ فهذا ليس موضوعنا، ولو كنّا سنتطرّق إليه، لكن هو في الأصل ليس موضوعنا، لكيلا تختلط عليكنّ الأمور، وتذهبن لشيء يتّصل بالدّنيا! وتقولين: (أنا أحبّ أن يمدحني النّاس في طبخي، وفي لباسي)! هذا بابه آخر، ومن الممكن أن يكون فيه مشاكل،

---

(75) أخرجه البخاري (52).
(76) أخرجه مسلم (2564).
(77) أخرجه مسلم (2564).

لكن من باب آخر غير **"باب الرّياء"**؛ فإنّ **"باب الرّياء والسّمعة"** محصور في الطّاعات والعبادات، سيأتينا بعد ذلك **"باب الفرح"**، ونحن قد مرّ معنا **"باب العُجْب"**، ستأتينا الأشياء الثّانية المتّصلة بالدّنيا.

لـمّا قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنمَا الأعمالُ بالنياتِ وإنمَا لكُلِّ مرئ ما نوى»، يعني: افتراق النّاس في الأجور مبني على نيّاتهم، فمالك في الأجور إلّا على قدر النّيّة.

واتّفقنا: أنّ النّيّة هذه مكان الاستثمار؛ «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[78] لكن لمن «خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»؟ لمن جمع قلبه على عظمة هاتين الرّكعتين قبل أن يصلّي، وجمع قلبه على طاعة ربّه، يعني: نحن نجمع قلبنا على الصّلاة لكن أنت تشعرِين تجاه ركعتي الفجر الّتي هي افتتاح الصّلاة في اليوم كلّه، أنّها هي «خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، فَتَعْظُمُ في نفسك. و«خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» معناها: لها من الأجور، الّتي لو وضعت في الميزان، ووضعت الدّنيا كلّها وما عليها في الكفّة الثّانية، رجحت الرّكعتان بها. لمن؟ لمن جمع قلبه في تلك اللّحظة وشعر بقيمة هذه الصّلاة.

---

[78]) أخرجه مسلم (1240).

يعني: هل أنّه لا يُكتب لي أجر إذًا كنت لم أشعر هذه المشاعر؟! سيُكتَب لك الأجر نعم، لكنّك لم تدخلِي الاستثمار بأن تصير هذه أعظم ما تكون.

فنحن سنكرّر مرّة أخرى: الدّنيا حين تكبر مساحتها في النّفس، تأتي أعمال الآخرة باردة، مغفول عنها! أين مشكلتنا؟ الدّنيا! نحن مشكلتنا الدّنيا! ندخل الصّلاة من التّكبير إلى السّلام والتّفكير في الدّنيا! ليس لنا إلّا أن ندعو ربّنا أن يسلّم قلوبنا، الله يسلّم قلوبنا، ويحفظ علينا أعمالنا، ويحفظ نيّاتنا، ويرشدنا إلى الصّواب، اللّهمّ آمين.

جزاكنّ الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللّقاء العاشر

14 ربيع الأوّل 1440

تابع باب ذكر الرّياء والسّمعة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعل هذه السّاعة الّتي نقضيها حول سنّة نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم- وتعظيم أوامره، نورًا وضياء في صحائفنا حين نلقاه، اللّهمّ آمين. وتكون ثقيلة غاية الثّقل، وتكون سببًا للنّجاة، اللّهمّ آمين.

لا زلنا نؤكّد على أنفسنا أنّ مقصدنا من دراسة هذه الكبائر الحذر منها، وكما لابدّ أن نعرف الخير، لابدّ أن نعرف الشّرّ؛ معرفة الخير للسّير، ومعرفة الشّرّ للبُعد والاتّقاء.

وليس هناك أتقياء إلّا إذَا عرفوا ماذا يتّقون؛ فلابدّ أن تأخذِي هذا الكلام بنفس سويّة؛ لأن الشّيطان إذَا استحوذ على الإنسان المؤمن؛ جاء له من طريقين:

الطّريق الأوّل: أن يغفله عن الأعمال القلبيّة.

الطّريق الثّاني: أن يوسوس له في الأعمال القلبيّة.

خاصّةً مسألة **الرّياء والسّمعة**؛ النّاس فيها مع الشّيطان كثيرًا ما يكونون في معارك خاسرة، من جهة أن الشّيطان يجعلهم:

- إمّا أن يوقعهم في **الرّياء**، ويدفعهم للأعمال بسبب **الرّياء**.
- وإمّا أن يمنعهم من الأعمال خوفًا من **الرّياء**.

وهذه مصيبة! **والصّحيح**: أن نجاهد من أجل أن نصحّح نيّاتنا، ونَنْدَفِعُ حتّى تصحّ النّيّة، ثمّ إذَا صحّت النّيّة نحمد الله ربّ العالمين، وإذَا ما صحّت النّيّة، أو لا زلنا نرى فيها تشويشًا، ماذا نفعل؟ نطلب من ربّنا، مع المجاهدة، يعني: ادخلي العمل، لابدّ أن تدخلِي العمل، لا تتركِيه!

مثلًا: افترضي أنّه في وسط الدّرس الآن، جاءتك مشاعر أنّك تريدِين أن تُسبّحي ربّ العالمين، أو أن تكبّرِيه، الشّيطان يقول لك: (لا تسبّحِي! لا تحرّكِي لسانك! لا تحرّكِي فمك؛ سيراكِ النّاس ويقولون إنّك مسبّحة!)، أنتِ ماذا ستفعلين؟ سبّحِي، وقومي بأيّ تصرّف من الممكن أن يمنع رؤية النّاس، وإذَا ما استطعتِ أن تقومي بأيّ تصرّف، سبّحِي بقلبك وأخرجيه بطرف لسانك؛ **المهمّ**: احتالي على الشّيطان، بحيث أنّك تعملِين العمل، وليس هو الّذي يغلبك!

ونحن دائمًا نؤكّد في كبائر القلوب: أنّ معرفتنا بالكبيرة تمنعنا من الوقوع فيها، لكن لا تمنعنا من العمل، ولا تسمح للشّيطان بأن يوسوس لنا؛ وأنا أؤكّد على هذه التّحذير، لأنّه كثيرًا لا تقف دروس الكبائر -خصوصًا الكبائر القلبيّة- على حدّ مع السّامعات، **يعني**: يصلن إلى حال يقلن فيها: (لو أنا سمعت أكثر من هذا فإنّي لن أقدر على الاستمرار)! فتتركه! نقول: لا! هذا من عمل الشّيطان! فلا هذا الطّرف، ولا هذا الطّرف!

تتركه، أقصد: تترك التّعلم! تقول: (أتركه ماكثًا على قلبي مثلما هو)! **نقول**: لا! فإنّ هذا من وحي الشّيطان! اجتهدي واعملي مخلصة صادقة، أزِيلي **الكِبْرَ** عنك! أزِيلي **العُجْب**! أزِيلي أسباب **الرّياء**! وجاهدي. والله -عزّ وجلّ- وعد من؟ الجالسين؟! المطمئنّين؟! الكسلانين؟! لا! (ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا)[79].

سنجاهد في ماذا؟ إذا ما كنّا سنجاهد في قلوبنا الّتي تتبعها أعمالنا، سنجاهد في ماذا؟! يعني: رزق؟! الحمد الله، ربّي قد وسّعه علينا. أمن؟! الله يزيده ويبارك فيه. صحّة؟! الله تفضّل علينا -الحمد الله- بالكثير الكثير! بعد ذلك أين سيكون الجهاد؟! فلابدّ أن يكون للجهاد مكان!

---

[79]() العنكبوت: ٦٩.

على كلّ حال، نحن لازلنا في **"باب ذكر الرّياء"**، بقي علينا حديث واحد، تعليق معاوية -رضي الله عنه- :

(ولمسلمٍ[80] عنْ أبي هريرةَ - رضي الله عنه - مرفوعًا: «إنَّ أولَ الناس يقضى عليهِ يومَ القيامةِ ثلاثة، رجل استشهدَ في سَبيلِ الله، فأُتي به فعرَّفهُ نعمتهُ فعرفها قال: فمَا عمِلتَ فيها؟ قالَ: قاتلتُ في سبيلكَ حتَّى قتلتُ قال: له كذبتَ، ولكنكَ قاتلتَ ليقالَ هو جريءٌ فقد قيل، ثم أُمرَ به فسحبَ على وجههِ حتَّى أُلقي في النَّارِ».

وللتّرمذي[81] فيه أنَّ معاوية - رضي الله عنه - لـمّا سَمِعهُ بكَى وتلا قولَهُ تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا﴾ الآية[82].)

التّعليق على الدّليل الرّابع

بسم الله، سنبدأ من الآية، ومن الآية نرجع إلى الحديث.

هذا الحديث ورد في مسلم، وورد في التّرمذي؛ في التّرمذي، نقل تعليق معاوية لـمّا سمع الحديث، وله قصّة هذا الحديث مع معاوية، أنّ أبا هريرة -رضي الله عنه- أراد أن يرويه له، فابتدأ ليرويه فأُغشي عليه، أُغمي عليه، وأتى الثّانية يفعل فأُغشي عليه، أتى الثّالثة يفعل فأُغشي عليه، حتّى

---

[80]() أخرجه مسلم (1905).
[81]() أخرجه الترمذي (2382).
[82]() هود: ١٥.

استفاق وذكر الحديث؛ وإنّ فِعْلَ أبو هريرة هذا إنّما هو من شدّة الخوف ممّا ذُكر، فكان هذا تعليق معاوية؛ وتعليق معاوية يفتح لنا بابًا عظيمًا جدًّا من العلم والفهم من جهة، ولهذا الحديث أيضًا من جهة، **لاحظن**: معاوية ماذا قال؟ (وللتّرمذي فيه أنَّ معاوية - رضي الله عنه - لـمّا سَمِعهُ بكَى). هو أكيد من تأثير الحديث بكى؛ لأنّ هناك حقائق عظيمة! (وتلا قولَهُ تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا)) هذا دليل على فهم معاوية. نحن ماذا نستفيد من كلام معاوية؟

أوّل فائدة: أنّ السّنّة ترجمان للقرآن، بدليل أنّ معاوية -رضي الله عنه- لـمّا سمع هذا الخبر الّذي حكاه أبو هريرة، مباشرةً قرأ هذا النّص، قرأ الآية، الّتي هي: (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا) معنى ذلك: استشهاده بالنّص، كأنّه يقول: ما قاله الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- هو تفسير لهذه الآية؛ وهذا يعني: منهج جليل، لابدّ أن تفهميه جيّدًا: أنّ السّنّة بيان وإيضاح وتفسير للقرآن؛ ولذا فإنّ الّذي يستغني عن السّنّة قد استغنى عن لبّ الدّين؛ لأن لبّ الدّين أن تفهم القرآن، فإذَا استغنيت عن السّنّة لن تقدر أن تفهم القرآن! هذه فائدة؛ وإنّها فائدة عظيمة جدًّا من منهجه، وعلى ذلك كلّما تعلمتِ القرآن أكثر، وقرأتِ السّنّة أكثر، ستستطيعين أن تتصوّري أنّ هذا الحديث بيان لهذه الآية،

وهذا الحديث بيان لهذه الآية، لكن حين نصل في العلم مثلما وصل معاوية -رضي الله عنه- أو نتّبع العلماء في مثل هذه المسألة. هذه فائدة في العلم عمومًا.

الفائدة الثّانية: نأتي إلى فائدة خاصة الآن بنفس موضوعنا في **الرّياء والسّمعة**. ما الفائدة من استشهاد معاوية -رضي الله عنه- **بآية سورة هود؟** فائدة عظيمة جدًّا، يكاد أن يكون فهمنا للحديث معتمدا على استشهاده:

⇐ **وكأنّه يقول**: ما يكون **الرّياء** لهذه الدّرجة إلّا إذَا امتلأ القلب بإرادة الدّنيا!

⇐ **وكأنّه يريد أن يقول لنا**: السّبب الحقيقي وراء دخول **الرّياء** لهذه الدّرجة في نفوس النّاس: حبّ الدّنيا. كأنّك تقولِين كلمة واحدة، ليس فيها تثنية! كأنّك تقولين: (لا يوجد غير هذا السّبب، وهو سبب حبّ الدّنيا! لاحظه الإنسان أو لم يلحظه، فالنّتيجة واحدة!)، **بمعنى**: أنّه رَدَدْتَ سبب ريائك إلى الدّنيا، أم لم تَرُدَّه إلى الدّنيا، شعرت أم لم تشعر بقيمة الدّنيا وَعَظَمَتِهَا في نفسك، فالنّتيجة أنّه لا يوجد هناك رياء إلّا لأنّ الإنسان يحبّ الدّنيا!

وبذلك سنخرج بنتيجة مهمّة جدًّا: لو نريد أن نعالج **الرّياء**، أهمّ علاج في **الرّياء** قبل أيّ تفكير في أيّ شيء: علاج حبّ الدّنيا؛ وعلاج حبّ الدّنيا، هذا يعني: أنّك ستعيشين حياتك كلّها لتصلي إلى هذه النّتيجة!

وسنتكلّم عن هذا الشّيء المهمّ؛ فالحديث مشهور، ودائما يتكرّر علينا، سنتكلّم عن هذه المشكلة، الّتي **هي**: حبّ الدّنيا! أنتِ الآن من أين عرفتِ أنّ سبب **الرّياء** هو حبّ الدّنيا؟ من كلام معاوية. استشهاد معاوية بالحديث، **كأنّه يقول**: النّاس في إرادتهم قسمان:

القسم الأوّل يريد الحياة الدّنيا. كيف يعامله الله؟ ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾. لا يُبْخَسُ هؤلاء، فليس هناك بخس، ولا ظلم، **بمعنى**: هل تريد الدّنيا؟ في الدّنيا ستأخذ ما تريده!

في الحديث ما الشّاهد؟ نحن عندنا ثلاثة أصناف وليس ثلاثة أشخاص، من كلّ صنف هناك عدد كبير من النّاس، من أن جاء التّوحيد والإسلام إلى قيام السّاعة.

ثمّ إنّنا سنلاحظ: «إنَّ أولَ الناس يقضى عليهِ يومَ القيامةِ»، يا لخطورة المسألة! أوّل من يُقضى عليهم، شيء خطير جدًّا!

«ثلاثة، رجل استشهدَ في سَبيلِ الله، فأُتي به فعرَّفهُ» عرّفه الله «نعمتهُ»، نعمه عليه، نِعَم الله على الرّجل الّذي استشهد. ماذا تكون النّعم الّتي عرّفها الله -عزّ وجلّ- له؟ أنّه صحّ بدنه، وشرح صدره للإسلام، وأعطاه القوّة، وأعطاه الفرصة لزيادة الإيمان، وأعطاه، وأعطاه، إلى أن أخرجه يقاتل في سبيل الله! «فعرفها قال: فمَا عمِلتَ فيها؟» سُئِلَ، فعرفها، أقرّ: (أنّك أعطيتني، ابتداء من صحّة البدن، إلى انشراح الصّدر للإسلام، إلى الفرصة في الجهاد)، عرف هذا كلّه!

فسُئل الآن؟ يسأله الله وهو أعلم به: «فمَا عمِلتَ فيها؟» ماذا عملت في صحّتك؟ وإيمانك؟ وفرصتك للجهاد؟ **الجواب:** «قالَ: قاتلتُ في سبيلكَ حتَّى قتلتُ»!

نحن سنقرأ آية في سورة المجادلة، تبيّن لنا هذا الشّيء الخطير، لكن دعنا نرى: الآن الحديث: يقول: «قاتلتُ في سبيلكَ»، ثمّ انظري: كيف أنّه يضيف الكاف؟! يضيف الكلمة على الكاف، يعني: لك يا الله وليس لأحد آخر! ومعناه: أنّه واقف واثق من أنّه مخلص! «حتَّى قتلتُ» يعني: لم أَكْتَفِ في الجهاد بأن أدخل فقط المعارك؛ لا! وإنّما حتّى وصلت فقُتلت في سبيلك! قال له الله عزّ وجلّ: «كذبتَ»! **وهذا أكثر شيء مخيف في الحديث:** أن يبقى الإنسان يكذب طوال

حياته حتّى يصدّق الكذبة، ويلقى ربّه بالكذبة! وهناك يُترك على نفس حاله فيقول هذا الكلام!

نحن الآن نريد أن نعرف في الحديث شاهد ﴿وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾؟ فيقول الله عز وجل له: «ولكنكَ قاتلتَ ليقالَ هو جريءٌ» **يعني**: لهذه الغاية، لهذا المقصد، لهذه النّيّة! ونحن مرّ معنا الأسبوع الماضي: «إنمَا الأعمالُ بالنياتِ وإنمَا لكُلِّ مرئ ما نوى» يعني: الأعمال لا تُعتبر إلّا على حسب نيّتها، وليس على حسب شكلها، وصورتها، واشتراكها في ذلك.

«ليقالَ هو جريءٌ» فيقول الله عزّ وجلّ: «فقد قيل»! انظرن: استشهاد معاوية: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾، الّذي ﴿يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ إرادته في العمل ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾! ماذا يفعل له الله؟ ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾. ﴿لَا يُبۡخَسُونَ﴾، بمعنى: لا يُنْقَصُون!

ولكن ماذا كان يريد الرّجل هنا؟! أن يُقال عنه «جريءٌ»! هل وَفَّى الله له أمْ لم يُوفِّ؟ وَفَّى: «فقد قيل»! فقد اشتهرت، وأصبحت نموذجًا للرّجل الجريء، وانتهى الموضوع، أخذت حقّك الّذي أردته بهذا العمل!

فإذًا: الخطورة الآن في أيّ شيء؟ الخطورة في إرادة الدّنيا! **والأخطر من ذلك**: أن يختلط على الإنسان وقت إرادته للدّنيا، هل أنّ الّذي أعطاه الله في الدّنيا هو دليل رضاه؟ أم أنّ

هذا هو نصيبك من المسألة؟! أنّه لك سمعة والنّاس قالوا! مثل: هذا العبد! فهناك قارئ القرآن، وهناك المتصدّق؛ نفس الأمر: «فقد قيل»! «فقد قيل»! قيل: (إنّك عابد، وقارئ للقرآن، وحافظ، وعندك علم، ومعلّم للنّاس)! وقد قيل: (إنّك كريم، متصدّق)! «فقد قيل»!

فأين تكون الأزمة الآن؟ فكّري في الباعث الأساسي. ماذا يعني هذا الكلام؟ **يعني**: أنّ الإنسان حين يكون يريد الدّنيا أصلًا في قرارة نفسه، في أعماقه يريد الدّنيا، ويلهث لها، ولا يريدها إلّا هي؛ فإنّه في لحظات قيامه بالعمل -الّذي هو الشّرعي، **مثل**: قارئ القرآن، **مثل**: المجاهد- هو لا يستوعب أنّه يريد الدّنيا! ما يستوعب هكذا!

من أجل أن تتصوّروا المسألة: دعنا: نذهب للمثل الّذي ضربه الله -عزّ وجلّ- في سورة البقرة. لمن؟ لـمّا حذرنا الله -عزّ وجلّ- من أن نمنّ على النّاس. لـمّا حذّرنا من المنّ. حذّرنا نشبه الّذين ينفقون أموالهم رياء!

هل تتذكّرن المثل؟ ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾[83].

هذا المثل سيفهّمنا ما هي القضيّة.

---

[83]() البقرة: ٢٦٤.

كان السّؤال: هذا الّذي وقف عند ربّنا وقال: أنا أريد رضاك، فقيل له: كذبت! هل لـمّا كان يأتي في الموقف فيقاتل، أو يتصدّق، أو يعلّم، هل كان مستحضرًا أنّه من أجل النّاس في تلك اللّحظة؟ المثل في **سورة البقرة**، سَيُبيّن لي المسألة:

ما هو الصّفوان؟ الحجر الأملس. و(عَلَيْهِ تُرَابٌ) بصورة يظنّ الظّانّ حين ينظر لها أنّها طبقة سميكة يمكن الزّراعة فيها! **فتصوّري**: هذا الزّارع يأتي يضع بذرته على التّربة، أو في التّربة، وينتظر أنّها تنمو، على أساس أنّها أرض خَصْبَةٌ!

وأنت تصوّري: أنّها أرض خصبة، وهناك منطقة فقط من هذه الأرض كلّها تحتها صخرة! **تصوّريها من أجل أن تتخيّلي**: كيف سيُغَشُّ؟ هي ليست صخرة في جبل، فلو كانت صخرة في الجبل، كنت ستعرفِين أنّها صخور، لكن هي أرض كأنّها زراعيّة، وهناك منطقة فيها صخرة، يزرع النّاس هنا، ويزرعون، ويزرعون، ويجدون الزّرع، فهو ذهب وزرع في هذه المنطقة؛ هذه المنطقة عليها تراب مثل الباقي، وضع بذرته، ماذا ينتظر؟ ينتظر أنّها ترمي جذورها في الدّاخل، وبعد ذلك تنمو إلى الأعلى وبقي ينتظر. ماذا حصل؟ جاء مطر. المطر كشف الحقيقة، التّربة الّتي كانت

موجودة، الّتي كانت من فوق، وجعلت الزّارع يُغشّ، جاء الماء أزالها كلّها، فانكشف بأنّها أرض لا تصلح للزّراعة!

هكذا بالضّبط قلب هذا العبد: الصّخرة -الّتي تتصوّرينها- **هي:** حبّ الدّنيا. والتّربة الّتي فوقها -الّتي تتصوّرينها- هذه التّربة هي ما يظهر من أعمال صالحة، ما يظهر من كلام عن حبّ الدّين، أو أيّ شيء هو يقوله حتّى لنفسه.

انظري لأنّه في النّهاية سيصل إلى أنّه هو بنفسه يُغَشُّ بنفسه، سيظلّ يكذب! يكذب! يكذب! حتّى يصدّق الكذبة! حين يصدّق الكذبة فكأنّه جاءت هذه الطّبقة الّتي غشّته! فصار يعمل أعمالًا يظنّ أنّها ستدخل إلى قلبه والحقيقة أنّ أيّ موقف يأتي سيزيل كلّ هذه الطّبقة ويظهر حبّ الدّنيا؛ فحبّ الدّنيا في قلوب النّاس كالصّخرة حين يأتون يبذرون أعمالًا صالحة؛ فإنّها لا تدخل إلى الأعماق!

جوابًا على السّؤال الأوّل في الحديث: «إنَّ أولَ الناس يقضى عليهِ يومَ القيامةِ ثلاثة، رجل استشهدَ في سَبيلِ الله»، **يعني:** هذا وقت عمله الآن، وقت خروجه للقتال، والثّاني وقت خروجه للعلم أو للتّعليم، والثّالث وقت صدقته؛ فهل في نفس الوقت كان يشعر أنّ هذا لغير الله؟! لا، هذه التُّربة غشّته! وظنّ أنّه يضع بذوره في المكان الصّحيح، **والمشكلة:** أنّه ما شخَّص الأرض، ولا عالجها! فقد كان من الممكن أن

تُحلّ المشكلة؛ لأنّ الزّارع الفاهم يأتي إلى الأرض ويختبرها، وبعد ذلك إذَا كانت هناك صخرة فإنّه سيزيلها؛ من أجل أن يُكمل الزّراعة، لكي تصير الأرض متّصلة، يعني: التّربة العليا متّصلة بالتّربة الدّنيا ما بينهما صخرة، لكن القلب -فنحن يهمّنا المثل الآن في القلب- القلب حين يكون حبّ الدّنيا متملّكًا منه؛ فإنّه يأتي في المواقف، يظنّ أنّ هذه الحبّة الّتي يضعها في العمل (يعني: الصّدقة، قراءة القرآن، أو إقراؤه)، أيّ عمل صالح يظنّ أنّه يضعه في تربة خصبة! بينما العلّة أنّ القلب أصلًا مليء بحبّ الدّنيا، وقد جاءته هذه الطّبقة، غطّته، فصار لا يراها!

ألا يأتي عليها مطر يزيلها فيكتشف الإنسان؟ من الممكن أن يأتي مطر ويزيلها، ومن المفروض أن يكتشف الإنسان أنّ صخرة حبّ الدّنيا كبيرة في نفسه، لكن لأنّه من كثرة كذبه على نفسه؛ صار حتّى حين تظهر حقيقة أنّه لا يريد إلّا الدّنيا، فيقُوم بتغميض عينيه عن الاكتشاف! يعني: هو صدّق أنّه يحفظ القرآن لله! وربّنا من لطفه ورحمته بالعبد أنّه يمرّر عليه من الأقدار ما تبيّن له بأنّه: (أنت ليس صادق! هيّا عالج نفسك! عالج نفسك ما دمت في الدّنيا! عالج نفسك! وتب! واستغفر! واجعل في خلوتك صدقك أكثر من جلوتك!) لكن هو كلّما مرّت عليه مواقف لا يحسبها!

ودعنا: نضرب مثلًا بسيطًا دائمًا نكرّره: جاءت امرأة تريد أن تتعلّم القرآن، وهي -الحمد الله- لا تنقصها الشّهادات، وفي علم الدّنيا كانت قد درست. جاءت إلى مدرسة التّحفيظ، قالوا لها من البداية: (نحن لابدّ أن نعطي الشّهادات من أجل أن يستمرّ وضعنا، لكنّ الشّهادة لا تساوي شيئًا، وليس لها قيمة؛ وإنّما أنت تقرئين وتحفظين من أجل أنّ الملك يكتب لكِ حسنات!) من البداية قالت: (أصلًا أنا لا أريد الشهادة، أنا أهمّ شيء عندي رضا ربّ العالمين!) كلام جميل! هكذا ماذا نريد؟ وجه الله! فإذَا ما نأتي إلى آخر السّنة، كلّهنّ أخذن امتياز، وهي قالوا لها: (أنت لم تجتازي!) تنزعج! وتبكي! وأيضًا: (ظلموني)! وكذلك صديقاتها يقلن لها: (لا تعيدي عندهم السّنة! اذهبي وابحثي عن أيّ مدرسة ثانية بدلا عنهم)! أنتنّ لا يذهب عقلكنّ: (أنّه من الممكن أن يكونوا صحيح ظلموها)!

هي تريد وجه الله؛ وحين يريد الإنسان وجه الله، ألن تأتي عليه اختبارات؟! ستأتي اختبارات؛ ومن الاختبارات أنّه يخُتبر، هل أنّه هو حقًّا يريد وجه الله أم يريد الدّنيا؟! والدّنيا على حسب دنياه هو الّتي يهتمّ بها! فحين يأتي موقف مثل هذا، ونغمض أعيننا بالكامل، ونجعل الموضوع شيئًا ثانيًا تمامًا! وأصير أنا الّتي كنت قد قلت في أوّل الثّمانية أشهر:

(أنا لا يهمّني!)، أصير بعد ثمانية أشهر، يهمّني! يصير انكشفت الصّخرة! ومع ذلك فإنّها تُمرّ!

فهذا الاكتشاف نمرّ عليه ولا كأنّه صار شيء! لأنّ الاكتشاف لا يأتي يقول لك: (حبّ الدّنيا!)، فلن يأتي قلبك يقول لك: (إنّ هذا حبّ الدّنيا!)، ولن يخرج هكذا ويقول لك: (أنا عنواني حبّ الدّنيا!)؛ وإنّما أنتِ من تشخّصِينه أنّه حبّ الدّنيا، أنت من تشخّصِين أنّ هذا التّصرف لا يخرج إلّا من حبّ الدّنيا، مهما حاول الّذين حولك أن يشوّشوا عليك!

فالمقصد الآن: أنّ أزمة الأزمات أنّ الإنسان يكون قلبه مليئًا بحبّ الدّنيا، ويريد مكانه هنا، ويريد الرّفعة هنا، ويريد صور الدّنيا كلّها، ابتداء من المال، وانتهاء بالجاه و**السّمعة**؛ بينما الآخرة ليست على البال! ليست على البال! **يعني**:

✔ حين يمدّ الصّدقة لا يفكّر وليس ما يشغله أنّه: (اقبلها يا ربّ! ربّها لي في يمينك! واجعلها ظلًّا يوم القيامة)؛ لأنّ «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ»[84] يوم القيامة.

✔ وحين يوسوس لك الشّيطان: (أنّ النّاس سيقولون كذا)! فإنّك تستعيذين بالله أن يكون أجرك أن يقول النّاس! وهناك خوف حقيقي بينك وبين الله.

---

[84]) أخرجه ابن خزيمة (2235).

✔ والخلوات! الخلوات! فإنّ علامة المؤمن المخلص خلواته؛ ولذلك السّبعة الّذين يظلّهم الله تحت ظلّ عرشه: «رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا» -هذا الشرط- «فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[85]. لماذا «خَالِيًا» شرط؟ لشأنين: لأنّ البكاء، إمّا أن يكون رياء، وإمّا أن يكون من الطّبيعة البشريّة؛ لأنّه من الطّبيعة البشريّة إذَا وجدتِ أحدًا يبكي تبكين معه، وإذَا وجدتِ أحدًا يضحك تضحكِين معه؛ فهذه طبيعة بشريّة النّاس عليها؛ فمن أجل أن يكون من السّبعة لابدّ أن يذكر الله خاليًا فتفيض عيناه؛ **فإذًا**: الخلوات هي العلامة.

لكن نحن الآن لا نبحث عن هذه العلامة، ولا نفكّر فيها؛ وإنّما نفكّر في الأزمة الأساسيّة الّتي تجعلنا من الممكن أن نلحظ ثناء النّاس. ما هي الأزمة الأساسيّة؟ حبّ الدّنيا.

وأنتنّ اقرأن في **سورة المجادلة**، كيف أنّ المنافقين ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾[86]؟! يحلفون، ويحلفون، للرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- وماتوا، لـمّا بعثهم الله، ماذا يفعلون؟ ﴿فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ﴾[87]! تصوّري: حين يقف بين يدي الله يوم القيامة، يحلف لله كما كان يحلف للنّبيّ -صلّى

[85]() أخرجه البخاري (640).
[86]() المنافقون: 2.
[87]() المجادلة: ١٨.

الله عليه وسلّم-. ما هو مصدر حَلِفِهِ هذا؟ أنّه صار أعمى تمامًا، أعماه حبّ الدّنيا، خدعه، فصار لا يرى الحقائق!

إذًا: الآن الصّخرة الصّعبة الّتي داخل أنفسنا، ما هي صورتها؟ ما هي حقيقتها؟ حبّ الدّنيا، هي الّتي تحتاج إلى علاج!

وإنّ حبّ الدّنيا ليس له علاقة أبدًا بمستواك، لا الاجتماعي، ولا المادّي، ممكن أن يكون ربّنا أغناك ابتلاء وأنت تحبّ الدّنيا، ولا زلت تحبّ الدّنيا! وممكن أن يكون ربّنا أفقرك ابتلاء، وأنت تحبّ الدّنيا! يعني: حبّ الدّنيا ليس له علاقة إن كان عندنا أو ما عندنا! وحبّ الدّنيا ليس صورة واحدة، ليس بيتًا واسعًا فقط، ليس جمالًا فقط، ليس مالًا فقط، ليس جاهًا فقط، كلّها صور متعدّدة! ومن الممكن أن يكون ولا أيّ شيء من هذا، لكن أحبّ أن أمشي في المكان ولي مكانة، والنّاس يشيرون إليّ، فهذا من حبّ الدّنيا، والشّيطان لا يتركك إلّا أن يُلقي في قلبك حبّ الدّنيا!

علاج كبيرتيّ الرّياء والسّمعة

والعلاج للرّياء، يبدأ أوّل الأمر بمعالجة حبّ الدّنيا. فالأمر واضح الآن.

كان سؤالنا: هل أنّ لحظة ما يقوم بالعمل هذا النّوع من المرائي الّذي في الحديث، هل يستحضر أنّه يريد الدّنيا؟ لا، ليس شرطًا! ممكن أن يصل إلى حال أنّه يصدّق فيها أنّه يريد الآخرة! لماذا؟ لأنّ صخرة حبّ الدّنيا قويّة؛ فإنّه يعمل الأعمال، ويقول: (لا! أنا مطمئنّ! أنا أريد الآخرة)!

ما الحلّ الآن؟ لأجل أن نُخرّج حبّ الدّنيا، ونحلّ مكانه حبّ الآخرة.

ربّنا قال في **سورة فصّلت**، كلمة عجيبة في وصف المؤمنين؛ وهذه الكلمة ذكرها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- للرّجل الّذي أراد طريقًا للنّجاة. يقول الله عزّ وجلّ: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟)[88].

سنقف عند: (إِنَّ)، و (ٱلَّذِينَ)، و (قَالُوا۟)، (رَبُّنَا ٱللَّهُ)، وسنقف عند: (ثُمَّ)، و(ٱسْتَقَـٰمُوا۟) ربنا يبارك لنا في الوقت، ونكون تكلّمنا عن العلاج في هذه الآية العظيمة.

ربّنا ما قال: إنّ الّذين آمنوا؛ وإنّما قال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟). (إِنَّ)، هنا أتت في موطن التّوكيد على هذه الصّفة، معناه: أنّ هذه الصّفة في نفوسهم راسخة، ثابتة، يعني: هي في موطن توكيد الصّفة لهم.

---

[88]() فصلت: ٣٠.

ثمّ بعد ذلك: (إِنَّ ٱلَّذِينَ)، ما يأتي اسم الموصول بعده الصّلة، إلّا للدّلالة على أنّ هذا الّذي يميّزهم؛ إذًا: هذه الصّفة المميّزة لهم.

وهم موجودون ما دام الله -عزّ وجلّ- قال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ) معناه: أنّ هؤلاء الجماعة موجودون -لا نيأس من روح الله- في كلّ زمان وفي كلّ مكان.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ)، يعني: إيمانهم هذا ينطقون به، ويذكرونه، يعني: أنّهم كثيرو ذكر الله؛ وعلى ذلك سيقابله: في صفة الطّرف الثّاني الّذي يحبّ الدّنيا، دعنا نقول: كثيرو ذكر الدّنيا! يعني: بنسبة وتناسب! بمعنى: يذكر الله بكلّ ثقل، ويُنهي أذكار الصّباح بالقوّة، ومن الممكن أن يمكث السّاعة والسّاعتين والثّلاثة يقلب جوّاله، ويتكلّم عن الدّنيا!

فبالنّسبة والتّناسب، هذا يدلّ على ماذا؟ انظري نسبة قول الأذكار، في مقابل: السّاعة، والسّاعتين، والثّلاث ساعات الّتي يتكلّم النّاس فيها عن الدّنيا، فهذا شيء خطير!

(إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ)، (قَالُواْ) معناها: أنّهم كثيرو الذّكر. (قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ): وهنا إشارة عظيمة إلى أنّهم يرون آثار ربوبيّة الله في كلّ شيء! كأنّهم يقولون: (الّذي آوانا، الّذي كسانا، الّذي هدانا، الّذي أعطانا، الّذي وفّقنا، الّذي أطعمنا، الّذي سقانا،

يستحقّ أن يكون إلهنا الّذي نحبّه ونعظّمه، يستحقّ أن يكون إلهنا الّذي نشكره، يستحقّ الشّكر).

(إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ)، ما معنى (رَبُّنَا)؟ من الرّبوبيّة. ما هي الرّبوبيّة؟ الرّبوبيّة كلّ الأفعال الّتي ترَينها أنت بعينيك، وبسببها أنت في أتمّ عافية وصحّة وهناء، أفعال أنت بنفسك ترَيْنَها. «يَا عِبادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ»[89].

فالمقصد: أنّ أفعال الرّبوبيّة هي كلّ شيء يحيط بك، فلا يوجد عند هؤلاء نسبة لغير الله: (أطعمنا، وسقانا، وكسانا، وآوانا، وحملنا، وأوصلنا، وعلّمنا، وشرح صدورنا، وجبرنا، وسترنا)، وإذَا ذكروا شيئًا من شأن الدّنيا، عطيّة، نسبوها إلى ربّ العالمين، وإذَا حصل عليهم ما يضيّقهم، نسبوها لذنوبهم، وعلموا أنّ وراءها حكمة: (فإنّ (رَبُّنَا) هو الّذي ربّانَا) يعني: مولانا، صاحب النّعمة علينا، الّذي تفضّل.

فانظري: لابدّ من أنّ هناك مشاعر معيّنة تجاه الدّنيا، في أنّها منسوبة لربّ العالمين؛ لذلك هنا السّرّ! فيصيرون لا يجرون على أرجلهم إلى الدّنيا أبدًا، ولا بقلوبهم؛ إذَا جاء بها الله نسبوها إليه، وإذَا صرفها الله علموا حكمته.

---

[89]) أخرجه مسلم (4802).

ولذلك انظري: كيف أنّك تقولِين: «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ -صلّى الله عليه وسلّم- نَبِيًّا»، في أذكار الصّباح والمساء، «إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[90]! حقّ على الله! سبحان الله! أنت ترضين لمن له من عظيم النّعمة عليك! ومع ذلك من فضله ومنّته، جعل لك عليه حقّ، وإلاّ فأنت ما لك حقّ!

فالمقصد الآن: (رَبُّنَا)، هذه معناها: أنّ الإنسان ينظر إلى كلّ الّذي يُحيط به، على أنّه تفضّل ونعمة من عنده. يعني لديه إحساس قويّ تجاه أنّ هذه النّعم كلّها؛ إنّما مردّها إلى ربّ العالمين والّذي سيقول: (ربي الّذي آواني، وكساني، وأعطاني، هو الّذي يستحقّ أن أحبّه وأعظّمه)، أكيد أنّه هو الّذي إذَا احتاج، ما تذلّل للدّنيا وأهلها!

أليس (رَبُّنَا ٱللَّهُ)، الّذي أعطانا، وكسانا، وآوانا؟ يصير وقت الحاجة لا يُسأل إلّا هو، ولو سعى في سبب يسأل صاحب السّبب، الرّبّ الأوّل الّذي ليس قبله شيء؛ فإذًا معنى ذلك: أنّ هذا في شأن الدّنيا، قلبه معلّق بالله، بربّه الّذي ربّاه، انظري كيف أنّ النّاس حين يقولون لبعضهم حين يريدون وصف نعمة الثّاني؟ يقول له: (نعمتك سابقة!)، نقول لبعض ذلك: (خيرك سابق)، من أجل أن نقول: (أنت لك أيادي

---

[90]) أخرجه النسائي (8576).

بيضاء عليّ!)؛ وهذا في حقّ النّاس إذَا كان بطرف اللّسان، فلا بأس به، لكن ماذا يكون موجودًا في الوجدان عند المؤمن؟ أنّ: (الخير خير الله، والعطايا عطيّة الله؛ والّذي يأتي على يديه الخير؛ إنّما ساقه الله، سخّره الله).

هذا فقط ﴿رَبُّنَا﴾ الآن؛ يأتي بعد ذلك ﴿ٱللَّهُ﴾ يعني إذَا كان ﴿رَبُّنَا﴾ هو الّذي أعطانا، والدّنيا كلّها بيده، وما جاءنا منها إنّما من فضله، فيصل إلى نتيجة أنّ: (﴿رَبُّنَا﴾ الّذي ربّانا يستحقّ أن يكون إلَـهنا الّذي نحبّه، ونعظّمه، ونتوجّه إليه، ونطلب رضاه، والحياة مقضيّة في طلب رضاه)، فيَعتبر الحياة زمنًا لطلب رضاه، وليس للجري وراء الدّنيا! والدّنيا آتية إليك! وَ «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[91] وكما في **الزّخرف**: لو كانت الدّنيا شيئًا، يعني: ﴿لَّوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ في الكفر ﴿لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾[92] يعني من كثرة أنّ هذا لا شيء عند الله، كان أعطى الكفّار بيوتًا حالتها أنّها من ذهب وفضّة! ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[93] ولا شيء، ولا له قيمة! وسيأتي يوم القيامة؛ وقرب يوم القيامة ستأتي النّار الّتي تحشر النّاس، وستُخرج الأرض كنوزها، أساطيل كنوز

---

[91]) الزهد لابن أبي عاصم (127).
[92]) الزخرف: ٣٣.
[93]) الزخرف: ٣٥.

الذّهب الّتي فيها، الباقي، ويمرّ النّاس عليها، وكأنّ هذه الكنوز تقول لهم: (تعالوا!)، «فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»[94]، ويمرّون عليها لا يريدوها! هي ماذا ستكون عندهم؟ ولا شيء، فيقولون: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، يعني: الّذي أنعم وأعطى، وأعطانا ما نحتاج بالضّبط، هو الله الّذي يستحقّ المحبّة والتّعظيم.

وأهمّ شيء: الآن في الجملة الّتي تهمّنا في مسألة **الرّياء**، وهو الّذي يستحقّ أن يُطلب ثناؤه ورضاه، ويتوجّه القلب إليه؛ ما لِقلب هؤلاء المؤمنين قبلة يريدونها إلّا رضا ربّ العالمين! وهذا ما يأتي بمجرّد التّمنّي؛ إنّما هذه حياة، الإنسان يقضيها، كلّ يوم يعتبره يومًا يقطع فيه المسافة للقرب من الله، لزيادة معرفة الله، كلّ يوم يقضيه لأجل أن يزيد معرفة لله.

إذَا زادت المعرفة اليقينيّة، وقال: (أنا مقصدي ربّ العالمين، لا أريد إلّا أن أصل إلى رضاه)، فالآن لابدّ أن تتحوّل هذه العقيدة إلى عمل:

- ✔ عمل القلب.

---

[94]) أخرجه مسلم (1757).

✔ وعمل الجوارح.

دعنا نرى هذا السّرّ البديع في حروف القرآن: ربّنا ماذا قال؟ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ﴾، ﴿ثُمَّ﴾ هذه معناها أنّ هناك مسافة، بمعنى: تدخل هذه العقيدة إلى النّفس الإنسانيّة، ويجاهد الإنسان، ويجاهد الإنسان، ويجاهد، وتأتي الدّنيا وحبّها، وهو يردّها، يردّ الدّنيا وحبّها، ويأتي حبّ ثناء النّاس ويردّه، ويردّه، حتّى يستقيم في هذا الشّأن، فإذَا انتهى من هذا الشّأن، يأتيه شأن جديد، يجاهد، يجاهد، ثمّ يستقيم. يعني: ليس بأن يقول ربّنا الله وفجأة سيستقيم! ليس بأن يقول: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، وسينتقل نقلة واحدة! فالآن الأزمة هنا! لأنّ الشّيطان بماذا يقنعك؟ يقنعك أنّه إذَا ما انتقلت من ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ للاستقامة مباشرة، فأنتِ لا تصلحِي لهذا الطّريق! فيدخل في قلبك اليأس في إصلاح النّفس! لا! ربّنا قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾، يعني: بين الإيمان، وبين الاستقامة، مسافة. هذه المسافة سنقضيها في المجاهدة؛ وكلّما كبرت الدّنيا وكبرت، أسكتها! وكلّما اشتهى، اشتهى، أنّه يفعل كذا، ويكون عنده بيت فيه أربع غرف، هيّا نريد خمسة، وحين تأتي الخمسة يريد ستّة، ستّة اجعلي معه فناء، وهكذا كلّ فترة! فهو الآن لا يملك شيئًا، فقط يتمنّى ويتأمّل ويحلم، وكلّما قام وقعد فإنّ الدّار الآخرة وما يتّصل بها ليست في تفكيره؛ وإنّما تفكيره في الدّنيا!

فيقوم هذا بالمجاهدة بعدما يؤمن ويقوى إيمانه، يجاهد في أنّه ماذا؟ (يا ربّ وسّع عليّ ما ينفعنا، أنا راضية بما قسمت لي، الّذي ينفعني أعطني إيّاه، أهمّ شيء أن تكون الدّار الّتي سأسير فيها وحدي في ظلمة هي الّتي تكون واسعة، أهمّ شيء أن يكون قبري واسعًا ومنيرًا، أمّا هذا فسأتركه ورائي!)، وهكذا.

وتأتي الدّنيا وتطمعِين، وتطمعِين، وبعد ذلك تردِّينها، وتقولِين: (وعند ربّنا؟! والقبر الّذي سأكون وحدي فيه؟! وجنّات النّعيم!)، الّتي ستكون مدّ الأفق يمشي فيها -كما وُصِفَ في "صحيح البخاري"- في الحديث: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ»، **يعني**: هذه شديدة السّرعة، «يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ، مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»(95) تحت ظلّها! هذا الّذي يحرص الواحد عليه، هذا الّذي يحرص عليه! وإلّا فإنّه لو كنت أنت لك ملك في الدّنيا مثل هذا ما عرفته أصلًا! ولا استطعت أن تتابعه! لكن هناك (إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا)(96)، فلمثل هذا يسعى النّاس!

فالمقصد: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا)، فهؤلاء (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ)، وسيصير لهم صحبة مختلفة،

---

(95) أخرجه مسلم (5185).

(96) الإنسان: ٢٠.

وسيصير لهم تفكير مختلف، **لكن سأؤكّد عليكم**: ليس هناك قفز أبدًا! يعني لا تتصوّري: أنّه من المفترض أنّك تخرجين، تبيتين، تصبحين، تجدِين نفسك لا تحبّين الدّنيا! تكونين ما فهمتِ الموضوع!

إذًا: لماذا وُضع في أنفسنا؟ ورُكّبت الشّهوات؟ من أجل: (ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ)، جاهدوا، وجاهدوا، حتّى (ٱسۡتَقَٰمُواْ)، فيصير معنى هذا: لأجل أن تحصل المجاهدة.

فالآن الآية وضّحت لنا الموضوع تمامًا: بأنّ الإنسان يكون أصلًا ناظرا للدّنيا على أساس أنّها فرصته الوحيدة لأن يطلب رضا ربّ العالمين؛ فالأيّام واللّيالي الّتي يقطعها تكون من أجل طلب الرّضا، وكلّ عبد فُتح له باب رضا لربّ العالمين، يعني: كلّنا مشتركون طبعًا في رضا ربّ العالمين في هذه الأركان العظيمة (أركان الإيمان، وأركان الإسلام)، ثمّ فُتح لكلّ منّا باب مختلف في طلب رضا ربّ العالمين، الّذي عنده وَالِدَان؛ في والديه، والّذي عنده زوج؛ في زوجه، والّذي عنده أولاد؛ في أولاده، والّذي عنده مال؛ في ماله...فهذه تفاصيل كثيرة كلّ منّا يجاهد فيها.

لكن الّذي يهمّنا هنا في هذه الموقف: في موقف **الرّياء**، أنّنا كلّ تركيزنا أن لا نجعل الدّنيا أكبر همّنا، أن لا نجد أنفسنا نريد، ونجري فقط لها، ونطلبها، فتصير الأيّام،

واللّيالي مقطوعة للدّنيا وليست مقطوعة للوصول إلى رضاه؛ بحيث أنّه في النّهاية يذهب علينا الأسبوع والأسبوعين ونحن ما ندري:

⇐ ما الّذي زاد علمنا عن ربّنا؟

⇐ ماذا عرفنا أكثر عن ربّ العالمين؟

⇐ كيف ما شوّقنا أنفسنا إلى جنّات النّعيم؟

⇐ كيف يمرّ الأسبوع والأسبوعين والثّلاثة وما تعلّمت أكثر من هو ربّنا؟

⇐ ما أسمائه؟

⇐ ما صفاته؟

⇐ ما أفعاله؟

⇐ ما تفكّرت كيف آثار نعمائه عليّ؟

وهذه العبادات كلّها تُنتج في النّهاية كلمات الذّكر الّتي من أعماق القلب.

ولذلك فإنّ الاستغفار (أستغفر الله)، لن يخرج إلّا من قلب قد وعى عظمة الله، ووعى تقصيره وذنبه في حقّ الله**!** فلا مانع من أن تقولِي: (استغفر الله)، حتّى لو ما وعيتِ، لكن نحن نقول الاستغفار، هذا الّذي يحوّل السّيّئات إلى حسنات،

الّذي يوعّي صاحبه إلى عظمة الله، ويعي إلى مقدار تقصيره في حقّ الله، وإجرامه في حقّ الله، وكيف أنّ الله يراني وقد كنت على هذه الحال؟! إلى أن يصل العبد إلى أنّ كلّ حيائه أنّه: (كيف يلقى الله ويعرض عليه هذا الذّنب؟!)، **يعني**: العبد يرى نفسه أمام ربّه وقد عُرض عليه أنّه فعل هذا الذّنب الّذي يستحي أنّ أحدا من الخلق يعرفه! كيف الموقف بين يدي ربّ العالمين؟! إلّا أن يتغمّدنا الله برحمته.

فالمقصد: أنّ أوّل الحلول وهي الآن كلّها فقط حول قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟) ماذا سيفعل الّذين يقولون ربّنا الله ثمّ يستقيمون؟

أليست في القلب صخرة حبّ الدّنيا؟ وحين ينزل عليها الوابل؛ من المفترض أنّ الوابل يأتي بالزّرع جيّدًا، فيقوم بكشف الحقيقة! نحن الآن كأنّنا نحرث القلب، ونخرج هذه، كأنّ هذا دورنا الآن، فماذا سنفعل؟ دعنا نعدّ على الأقلّ أربع نقاط لأجل أن ندور حول: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟)، سنبدأ:

أوّلًا: بمعالجة القلب من حبّ الدّنيا، بمعرفة الرّبّ -سبحانه وتعالى- وعظمته.

ثانيًا: معرفة ما أعدّه سبحانه لعباده المؤمنين.

ثالثًا: معرفة حقيقة الدّنيا كما وصفها ربّ العالمين، **يعني**: لا تتركِي الآيات الّتي وصفت الدّنيا في القرآن، كيف أنّ الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[97]؛ كلّ هذا لابدّ أن تكرّريه، يعني: كيف وصف الله الدّنيا؟

الأولى: لابدّ أن تعرفي ربّنا (أسماءه، وصفاته، وأفعاله).

الثّانية: شوّقِي نفسك لـما عند الله. يعني: لو صاحب النّفس ما شوّقها للآخرة؛ فإنّها رغمًا عنها ستحبّ الدّنيا فالنّاس يحكون عن الدّنيا: (وأكلنا وشربنا وتنزّهنا وسافرنا)!

ألا يوجد شيء للنّفس تنشغل به وتتلطّف به؟! فالنّاس لأنّه لا يوجد ذكر للآخرة، يكون عندهم النّعيم، يكون عندهم ما يحسدون عليه، لكنّهم يقارنون أنفسهم بمن هو أعلى منهم، فماذا يقولون؟! يأتي يقول لك: (وهل أنت تَرَيْنَا نعيش؟!) على أساس أنّ كلّ هذا الّذي عندهم ليس عيشًا! وهذا كلّه لأنّ النّاس يشوّقون بعضهم للدّنيا!

فمن أجل أن نعالج هذه المشكلة لابدّ من هذه النّقطة:

- ✔ بأن نعرف ربّنا.
- ✔ ولابدّ أن نعرف كيف شوَّقنا لـما عنده، يعني: في فجر الجمعة من السُّنَّة قراءة سورة السّجدة

---

[97]() النحل: ٩٦.

والإنسان؛ وسورة الإنسان كلّها كلام عن النّعيم، يعني: اقرئيها بقلبك مرّة ومرّة، وبعد ذلك شوّقِي نفسك بما تعرفين من كتاب الله.

لماذا نمرّ على النّعيم كأنّه ليس موضوعنا؟! أليس هذا الّذي يصير؟! بأن نمرّ على النّعيم وكأنّه ليس موضوعنا؟! حتّى معاني الكلمات الّتي في النّعيم، والصّورة الّتي تُصَوَّرُ في هذه النّعيم؛ ما نسأل عنها؛ لأنها وكأنّها ليست موضوعنا!

ماذا سيصير موضوعنا؟! إذَا مرّ النّاس على القرآن ووجدوا ذكر اليهود، قالوا: (هذا ليس موضوعنا اليهود)! النّصارى؟! قالوا: (هؤلاء النّصارى)! الكُمّل في الإيمان؟! قالوا: (أيضًا ليس موضوعنا)! قوم هود؟! (ليس موضوعنا)! قوم نوح؟! (ليس موضوعنا)! الجنة؟! (ليست موضوعنا)! ما هو موضوعنا؟! ماذا سيكون في القرآن موضوعنا؟! فلابدّ أن نعرف ربّنا من القرآن، ونعرف ما شوّقنا له.

ولذلك الله -عزّ وجلّ- يقول لرسوله في القرآن، كما في **سورة البقرة**: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[98]، ﴿بَشِّرِ﴾، يعني قل لهم: أبشروا (فعل أمر)، فيستجيبوا بأن تمتلئ صدورهم حبورًا، وسعادة تظهر على بشرتهم، وعلى أبدانهم! يعني

---

[98]() البقرة: ٢٥.

ربّنا يقول لرسوله: بشّرهم بجنّة كذا، وكذا، وكذا؛ ونحن أمر الاستبشار ما نستبشر به؟! ولو جاء خبر من الدّنيا استبشرنا!

على كلّ حال، فقط من أجل أن لا يضيع الكلام، سنعرف ربّ العالمين، ونعرف ما بشّرنا به في كتابه، والأمر الثّالث: نعرف حقيقة الدّنيا كما وصفها ربّ العالمين.

رابعًا: كثرة ذكر الله من القلب، واتّقاء ذكر الدّنيا ما استطعنا! -وطبعًا هنا- ما استطعنا! يعني: على حسب وضعك، على حسب حالتك؛ لأنه أحيانًا ذكر الدّنيا يكون من مسؤوليّتك، فستُحاسبين عنه، يعني: أنت وراءك بيت وأولاد يأتون يسألونك: (ماذا تريدين أشياء للغداء؟)، تقولين: (لا، والله لن أتكلّم في الدّنيا)! لا! ليس هكذا فلا تخلط عليكنّ الأمور! مسؤولياتكنّ المتّصلة بالدّنيا تقمن بها؛ لأنها تأتيني شكاوى من رجالكنّ؛ لأنّ كلّ واحدة تذهب يمينًا ويسارًا بالفهم، وتخلقن لنا المشاكل!

قلّة ذكر الدّنيا، المقصود بها الاختياريّة الّتي تناسبك، يعني: صديقتك تتّصل بك: (أنّها ذهبت، وأكلت في مطعم، وصار كذا)! هذا لا علاقة لك به، لا تحكي معها، لا تريدين أن تسمعي، يرسلون لك صورًا: (نحن سافرنا كذا، وإلّا ذهبنا)! لا علاقة لك! (أنّه في السّوق صار كذا)! ما لك علاقة! يعني: من الدّنيا خذي الّذي تحتاجين إليه فقط؛ لأن

كثرة الذّكر بالدّنيا تُولع القلب به! **في مقابل:** أيضًا قلّة ذكر الآخرة، أكيد أنّه سيصير هناك ضمور للرّغبة في الآخرة!

على كلّ حال؛ آخر كلام نقوله: ممّا يهيّج مرض **الرّياء والسّمعة**: صحبة تُكثر المدح، فَيُكْثَرُ لها التّصنع!

ممّا يثير مرض **الرّياء والسّمعة**، أن يكون لك أصحاب طوال الوقت يَتَمَدَّحُون لو أنا أبقى أشاهدهم! فماذا أفعل؟! أُدخل نفسِي في الوسط بأن أتكلّم عن بعض طاعاتِي وعباداتِي!

ولذلك فإنّه ممّا يُثير ويُؤلم أنّك تجدين جماعة من المسلمين -أنا سأفترض أنّه صدق وليس اختراعًا أو كذبًا- يكون بينهم وبين الله من العطايا والإكرام ما بينهم، يعني الله يكرمهم -الّتي نسمّيها كرامات في الشّريعة- وهذه الكرامات تكون بسبب الإيمان والتّقوى فإنّ الله يرزقهم، الله يعطيهم، الله يوسّع عليهم، فماذا يفعلون من أجل أن يصيروا ذوي ميزة عند النّاس؟ يقومون بسرد قصصهم عند النّاس: (نحن ربّنا يفعل لنا كذا)! وتقول لها: (وهذا بينِي وبينك)! لكن هي ما دامت قالت: (هذا بينِي وبينك)! ما دامت خرجت! **إذًا**: أنت رقم سبعين أو ثمانين من الّذين قيل لهنّ؛ لأنّه قد تحوّل فصار مرضًا!

ثمّ فليُعلم: أنّه إذَا تكلّم الإنسان عن شيء يكون شأنًا بينه وبين الله من الكرامات، فهو أحد اثنين:

الجهة الأولى: إمّا أنّه كذّاب! وهذا الأغلب فيمن يتكلّم عن كراماته من أجل أن يُعظّم نفسه عند النّاس، أو من أجل أنّه أحيانًا يجرّ مثلًا تعظيمهم! دعنا نقول: الرّياء والسّمعة، وفي بعض الأحيان: إرادة الدّنيا! يعني: يريد منهم شيئًا يعطونه إيّاه. هذه جهة.

الجهة الثّانية: أو الجهة الأخرى: الشّيطان أوهمه، يعني: أحيانًا يصل الإنسان أنّه يتوهّم من الشّيطان!

لكن المؤمن التّقيّ الّذي لابدّ أن تكون بينه وبين ربّه كرامات، وعطايا؛ فإنّه لابدّ أن يخفيها! يخفيها! فلابدّ أن تعرفن: أنّ هذه الصّفة في المؤمن التّقيّ، لكن أوّل ما يبدأ يتكلّم فهو أحد اثنين: إمّا أن يكون كذّابًا ويريد مصالح دنيويّة، ويُرائي ويُسَمّع من أجل أن يرتفع! أو ما هي الحالة الثّانية؟ أنّ الشّيطان أصلًا يكذب عليه فيجعله يغترّ!

ولذلك أنتنّ ترين في العالم الإسلامي أشكالًا وألوانًا من مثل هذا، لكن لا تَظُنَّنَّ أنّه في العالم الإسلامي البعيد؛ وإنّما حتّى قريبًا منّا.

هذا ما تيسّر في الكلام عن **الرّياء والسّمعة**.

جزاكنّ الله خيرًا

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.